



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة الشهيد حمه لخضر  
الوادي

قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

## الخصائص الأسلوبية في آيات العكس والتبديل - من خلال نماذج قرآنية مختارة -

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها  
تخصص : علوم اللسان

إشراف الدكتور:

علي زيتونه مسعود

إعداد الطالبين:

بلال بن تيشه  
العبد صوالح بدادي

السنة الجامعية: 1437-1438 / 2016-2017



## إهداء

نشكر المولى ﷻ الذي أعاننا وفتح لنا أبواب العلم والمعرفة ونهدي هذا العمل المتواضع إلى اللذين قال عنهما الله تعالى: ﴿وَخِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَ نَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء/24] ، إلى المحبات الحريصات على إخفاء حبهن والمجاهدات اللاتي لا يعرفن التآفف وهن رمز للعطاء

### \*\* أمهاتنا الحبيبات الغاليات \*\*

إلى من ثبتوا في قلوبنا روح الأمل و علمونا معنى العمل وغرسوا في قلوبنا مثل الإنسانية

### \*\* أبائنا الأعزاء \*\*

إلى من نحس معهم بالأمن والأمان الدائم، الإخوة والأخوات وهم رمز الوفاء والإخلاص .

إلى من شاركنا في أفراحنا وإلى من أدخل البسمة في وجوهنا أصدقائنا الأعزاء.

صوالح بدادي العيد - بن تيشه بلال

# شكر وتقدير

الشكر للأول والآخر والظاهر و الباطن لله سبحانه وتعالى الذي آتانا من العلم ما لم نكن نعلم، ومنحنا الصبر والعقل لإتمام هذا العمل.

واعترافا بالود وحفظا للجميل وتقديرا وامتنانا نتقدم بجزيل الشكر:

للأستاذ المحترم : **علي زبون مسعود**

وذلك لما قدمه من نصح وتوجيه إلى ما يخدم البحث ويثريه فاسأل الله عز وجل أن يجزيه خير الجزاء.

كما أشكر كل أساتذة جامعة الشهيد حمه لخضر عموما

وأساتذة كلية الآداب واللغات - قسم اللغة والأدب العربي خصوصا

الذين أفادونا بعلمهم وخبرتهم وصبروا علينا على

مدى حوالي خمس سنوات من الدراسة بالجامعة

وكذا الشكر لكل من مد لنا يد العون من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث

# المقدمة

لقد أنزل الله تعالى ذكره الحكيم بلسان عربي مبين وجعله غاية الكمال في البلاغة لأن الله تعالى أحكم آياته وتحدى به أفصح العرب فعجزوا عن مقارعته مع فصاحتهم وبيانهم، ورفعها إلى أسمى درجات البلاغة في الألفاظ والتراكيب والدلالات، فكان معجزاً في هذا كله.

من الخصائص الأسلوبية البارزة في القرآن الكريم، والتي تمثل جزءاً من إعجازه، ذلك اللون الذي أطلق عليه علماء البلاغة "العكس والتبديل"، فقد استعمله الكتاب الحكيم، وعبر به عما يريد تبليغه، فكان ظاهرة لافتة للانتباه.

ومن ثمّ كان عنوان دراستنا: "الخصائص الأسلوبية في آيات العكس والتبديل - من خلال نماذج قرآنية مختارة -".

ولقد اجتمعت أسباب عديدة في اختيار هذا الموضوع منها:

- ✓ الميل والرغبة في البحث في القرآن الكريم لاكتشاف بعض خصائصه.
- ✓ محاولة معرفة دور البديع عامة في التعبير وأهميته في التبليغ.
- ✓ محاولة إظهار دور العكس والتبديل في توضيح المعاني وفاعليته، خاصة أنه ذو بنية خصبة وثرية تحمل في طياتها ألواناً أخرى، من ثمّ سر اعتماد القرآن الكريم عليه.

فحاولنا أن نجمع آيات العكس والتبديل والتي تفرقت في بعض سور القرآن الكريم في دراسة تطبيقية واحدة، لأننا لم نعثر على دراسة شاملة في هذا الشأن، خاصة أنّ القدماء عموماً قد قصروا البديع على التحسين، لعلنا نساهم ولو بجزء يسير في إثراء مكتبة الدراسات القرآنية.

ومنه تظهر إشكالية دراستنا هذه في التساؤلات الآتية:

ما هو العكس والتبديل؟ وما هي آياته في القرآن الكريم؟ ما هي أهمية العكس والتبديل في التعبير وقيمته في التأثير؟ وأين تكمن خصائصه الأسلوبية؟ هل تتدرج تحته ألوان بديعية أخرى؟ وما سر اعتماد القرن الكريم عليه؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا خطة ذات فصلين:

ففي الفصل الأول درسنا فيه البديع والعكس والتبديل والتكرار والتقابل والطباق والجناس.

أما الفصل الثاني فقد كان تطبيقياً، حيث اخترنا نماذج قرآنية تتضمن العكس والتبديل وحللناها، وما تضمنته من خصائص أسلوبية.

لاستيفاء جوانب هذه الدراسة زواجنا بين المنهجين التاريخي والأسلوبي: فقد استعملنا الأول في الفصل الأول عند ما عرّفنا بالبديع وبالعكس والتبديل وبعض المحسنات التي يتضمنها العكس والتبديل وآراء العلماء فيها.

واستعملنا الثاني أي المنهج الأسلوبي، في الفصل الثاني عند تحليلنا لآيات العكس والتبديل وما تضمنته من خصائص أسلوبية وجمالية.

وقد كان سندنا مجموعة مصادر ومراجع أهمها:

- في التفسير: صفوة التفسير لمحمد علي الصابوني، في ظلال القرآن لسيد قطب، الكشاف للزمخشري.
- في الأسلوبية: بناء الأسلوب في شعر الحدّثة لمحمد عبد المطلب، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية لسعد عبد العزيز مصلوح.
- في البلاغة القرآنية: البديع في القرآن لإبراهيم محمود علان، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي.

- في البلاغة: علوم البلاغة لأحمد مصطفى المراغي، علم البديع لعبد الفتاح فيود،  
التلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني ... إلخ.  
أما بالنسبة للصعوبات التي واجهت بحثنا هذا فتتمثل في:  
+ صعوبة البحث في القرآن الكريم فهو كتاب مقدس في ألفاظه ومعانيه وبلاغته الفريدة.  
+ قلة المراجع التطبيقية التي تحلل العكس والتبديل.  
+ ثراء وخصوبة العكس والتبديل، حيث يتضمن ألواناً بديعية أخرى، ما يجعله متشعباً،  
إضافة إلى أن القرآن الكريم معجز لا يمكن الإحاطة بمعانيه وأساليبه.  
إلا أننا أجهدنا أنفسنا للتغلب على هذه الصعوبات طمعا في إعطاء هذا البحث حقه  
ورغبة في استيفاء جميع جوانبه.  
كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل للمشرف.  
وأخيرا ندعو الله مخلصين أن يكون هذا البحث قد ألمَّ بشتات الموضوع، ونرجو من  
المولى القدير التوفيق والسداد وبأن يربط قلوبنا على الحق المنير .

# الفصل الأول:

## تحديد المفاهيم

أولاً - البديع :

1 - تعريف البديع :

أ - لغة :

جاء في لسان العرب : " بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه : أنشأه وبدأه ... والبديعُ والبدعُ: الشيء الذي يكون أولاً ... والبديعُ : المُخَدَّثُ العَجيب. والبديعُ : المُبدِعُ. وأبدعْتُ الشيء: اختَرَعته لا على مثال ، والبديع : من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إيَّها وهو البديع الأول قبل كل شيء ، ويقول سبحانه و تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة/117]، أي خالقها ومُبدِعُها"<sup>1</sup> .

وجاء في الصحاح "بدع: أبدع الشيء اخترعه لا على مثال والله بديع السماوات والأرض أي مُبدِعُهُما والبديعُ المبتدع والمُبتَدِعُ أيضا..<sup>2</sup> ومنه فالبديع يحمل معاني الإنشاء والبدية والاختراع والخلق .

ب - اصطلاحاً :

جاء في معجم المصطلحات "البديع: تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي، ويسمى العلم الجامع لطرق التزيين"<sup>3</sup> .

وهكذا نرى أن معجم المصطلحات ركز على جانب التزيين في هذا العلم وجعله ثانويًا في التعبير البلاغي، في حين ركز المعنى القاموسي على جانب الخلق والإبداع فكان أساسيًا وجوهريًا في التعبير البلاغي لا ضربًا من الكماليات.

وللخطيب القزويني تعريفان يكادان يكونان تعريفًا واحدًا، يقول في أولهما : "هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة"<sup>4</sup> كما يقول في ثانيهما :

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، 2003 ، 6/8 .

<sup>2</sup> الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: محمد محمد تامر ، دار الحديث ، القاهرة ، 2009 ، ص 80 .

<sup>3</sup> مجدي وهبه وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ، بيروت، ط2، 1984، ص 76 .

<sup>4</sup> الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الرحمان البرقوق، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت، ص 347 .

"وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته ، هو علم البديع"<sup>1</sup> .

وهكذا يقصّر المعنى الاصطلاحي عن المعنى القاموسي في إظهار أهمية البديع الذي بدأ خلقاً لا على مثال إلى تحسين الكلام وبهرجته وتزيينه شريطة أن يطابق مقتضى الحال وتبقى الدلالة واضحة غير غامضة.

هذا المعنى الاصطلاحي المركّز على التزيين حمل بعض الدارسين على تحديد دوره وحصره بالصورة الصوتية عند ما قال: "البديع والعروض والقافية علوم تهتم أساساً بالصورة الصوتية في التعبير الشعري"<sup>2</sup> .

## II - أنواع البديع<sup>3</sup>:

للبيدع أنواع كثيرة ومختلفة تزيد عند بعضهم عن المئتين<sup>4</sup>. وقد قسمها العلماء إلى قسمين كثيرين هما :

### 1 - المحسنات المعنوية :

وهي التي يكون التحسين فيها راجعاً إلى المعنى أولاً وبالذات ، ويتبعه تحسين اللفظ ثانياً وبالعرض .

ويُعرف هذا النوع من الآخر بأنه لَوْ غيّر اللفظ بما يرادفه لبقى المحسن كما كان قبل التغيير ، ففي قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي . وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾ [النجم/44،43] ، طباق بين (أضحك) و (أبكي) ، وبين (أمات) و (أحيا) ، والطباق محسن معنوي ، وعلامتها

1 الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تج: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتب الأزهرية للتراث، القاهرة، ط3، 1993، 50/1 .

2 الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط1، 1990، ص51 .

3 ينظر: مرعي الحنبلي، القول البديع في علم البديع، تج: محمد بن علي الصامل، كنوز إشبيلية، الرياض، ط1، 2004 ، ص53 - 211 . وينظر: عبد العزيز عتيق ، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، د.ت، ص 75 - 241 . وينظر: بسيوني عبد الفتاح، علم البديع، مؤسس المختار، القاهرة ، ط4 ، 2015 ، ص 135 - 279 .

4 ينظر: مرعي بن يوسف الحنبلي، القول البديع في علم البديع، المرجع السابق ، ص 53 .

أنه لو غير اللفظ بما يرادفه فقل مثلته : (سَرَّ) وُضِعَتْ مكان (أضحك) ، و(أحزن) وُضِعَتْ مكان (أبكى) ، لم يتغير المحسن المذكور<sup>1</sup> .

وأهم المحسنات المعنوية هي : الطباق، المقابلة، المناسبة، التفويف، المشاكلة، الاستطراد ، العكس، الإحصاء، التورية، المزوجة، الجمع، المبالغة، المحاجة، التعليل، التوجيه، التجاهل، الاطراد، القول بالموجب...<sup>2</sup> .

## 2 - المحسنات اللفظية :

وهي التي يكون التحسين بها راجعاً إلى اللفظ أصالة وإن حسنت أحياناً تبعاً كالجناس في قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم/55] ، فالساعة الأولى يوم القيامة والساعة الثانية واحدة الساعات الزمنية ، وعلامتها أنه لو غُيِّرَتْ كلمة ساعة الثانية إلى ما يرادفه زال المحسن المقصود ، فلو قيل : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا إلا قليلاً) لاختفى ذلك المحسن<sup>3</sup> .

وأهم المحسنات اللفظية هي: الجناس، رد العجز على الصدر، السجع، الترصيع، لزوم ما لا يلزم، الموازنة، التشريع...<sup>4</sup> .

## III - البديع بين الإيقاع والدلالة :

إن الوظيفة الدلالية لمباحث علم البديع لا يمكن معرفتها من النظرة البلاغية القديمة ، لأنّ البلاغيين كانوا يكتفون في الأعم الأغلب بتسمية النوع البديعي وتعريفه والاستشهاد له من دون البحث وتحليل المغزى الجمالي و دلالاته ، وقد تداخلت عندهم الجوانب الدلالية والإبلاغية مع الأبعاد الفنية والجمالية<sup>5</sup> .

1 ينظر: أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1993، ص319. وينظر: عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ط ، 1999 ، ص23 .

2 ينظر : إبراهيم محمود علان، البديع في القرآن، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة ، ط1 ، 2002 ، ص221 .

3 ينظر : أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة ، المرجع السابق ، ص319 . وينظر : عبد الفتاح لاشين ، البديع في ضوء أساليب القرآن ، المرجع السابق ، ص23 .

4 ينظر: إبراهيم محمود علان، البديع في القرآن أنواعه ووظائفه ، المرجع السابق، ص106 .

5 ينظر: مسعود بودوخة، عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن ، ط1، 2011، ص125،126.

وإذا كانت البلاغة القديمة قد حاولت اكتشاف أنواع التعبير المختلفة وتسميتها وتصنيفها فإن هذه الخطوة الأولى المعتمد بها في إقامة جميع العلوم ، ولكن الملاحظ أنها وقفت بعد هذه الخطوة أو المرحلة الأولى ولم تبحث عن الهيكل أو البنية العامة لهذه الأنواع المختلفة ، فضلاً عن ذلك فإنها اتسمت بالتناول الجزئي للنص بدلاً من التناول الكلي له ، ذلك أن قواعدها تتناول المفردة أو الجملة أو الفقرة فحسب ، علماً أن النص الأدبي لا تنحصر جماليته في فقرات مستقلة ، بل يأتي جماله من ترابط أجزائه بعضها ببعض، وهو يخضع لهندسة خاصة من حيث تنسيق الأفكار والمواقف<sup>1</sup> .

وقد حصرت البلاغة القديمة وظيفة هذا العلم بالتحسين ، إن قصر البديع على التحسين ، ولا يخفى "أنّ الناحية الدلالية تتلبس بعملية الكشف البديعي ، وإن تجلت في مظاهر صوتية وإيقاعية"<sup>2</sup>. ودلالته ذات أثر بالغ، وفي مباحثه ما يقوم على حركة الذهن وانتقاله من معنى إلى آخر، أو ربطه بين معنى وآخر ، أو إكمال المعنى وإتمامه، أو تفريطه وتشعيبه وكل ذلك لا يكون ذا أهمية إذا لم يتحقق مستوى معين من الوضوح ، يمكن على أساسه أن تتم عملية التوصيل في صورتها اللغوية ، وإن كان هذا لا ينفي وجود بعض الغموض الذي يأخذ طبيعة فنية تساعد عملية التلقي في أداء دورها على الوجه الأكمل<sup>3</sup> .

لذا توجد حاجة إلى توظيف الرؤية النصية الحديثة في كشف أبعاد هذه الوظيفة، لأن مباحث البديع تعتمد - في الأعم الأغلب - على وجود علاقة ما ، صوتية، أو تركيبية ، أو دلالية بين وحدات النص ، مستمدين شرعية ذلك من علماء لغة النص أنفسهم، إذ أكدوا أن البحث النصي ما هو إلا امتداد تاريخي لقضايا البلاغة القديمة<sup>4</sup> .

1 ينظر: محمود البستاني، البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي، دار الفقيه، أبوظبي، الإمارات العربية، ط1، 2003، ص10

2 محمد عبد المطلب ، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، 1995 ، ص8 .

3 ينظر: محمد عبد المطلب، جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، الشركة المصرية العالمية، القاهرة، ط1، 1995 ، ص266 .

4 ينظر : أشرف عبد البديع عبد الكريم ، الدرس النحوي النصي في كتب إجاز القرآن الكريم ، مكتبة الآداب، القاهرة ، 2007، ص125 .

وقد ضيق سعد مصلوح كلامه في حيز البديع ومباحثه وأكد علاقة هذا العلم بعلم النص ، إذ قال : "ولعل في التراث البديعي من الثراء والخصوبة من هذه الوجهة ما يحفز الجادين من الباحثين إلى استقراغ وسعهم في إعادة تشكيل هذا العلم من منظور نصي"<sup>1</sup> .

ولا شك في أن إدراك العلاقات القائمة بين عناصر العمل الفني أو النص الأدبي تعين على إدراك بنيته العامة ، مما يقربنا منه أكثر ويعيننا على فهمه ، ولكن الفهم ليس أسمى ما يطمح إليه في هذا الشأن ، فلا بدّ من جانب آخر لا يقلّ أهمية عن الفهم والإدراك ، هو جانب التذوق والمتعة التي يتطلع إليها متلقي النص ، وهو ما توفره ظواهر البديع التي تقوم على انزياح خاص ، تنتقل بموجبه وحدات اللغة من الدلالة الاعتيادية إلى تحقيق عنصر المفاجأة والإمتاع<sup>2</sup> .

وقد أطلق على علاقات المستوى الأول (علاقات الشكل) اسم الربط اللفظي أو السبك ، وعلى علاقات المستوى الآخر (علاقات المعنى) اسم الارتباط المعنوي أو الحبك<sup>3</sup> .

ويؤدي هذان المعياران النصيان وظيفة شدّ أجزاء النص ، وإيجاد الانسجام والتماسك بين عناصره بعلاقات لغوية ومنطقية ، والفرق بين السبك والحبك ضمن العلاقات الدلالية هو أن الأول معنيّ برصد العلاقات المتحققة في ظاهر النص ، والآخر معنيّ بالعلاقات المتحققة في الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفهومات والعلاقات الرابطة بين هذه المفهومات<sup>4</sup> .

أمّا الوظيفة الجمالية للبديع فتتحقق من خلال ما تحققه مباحث علم البديع ، من تناسب في بنية النص ، والمقصود من هذا التناسب حسن العلاقة القائمة بين الأجزاء المختلفة للأثر الأدبي حتى يتمتع كل عنصر منه بنصيب من الأثر والإبراز مع مساهمته في انسجام

<sup>1</sup> سعد عبد العزيز مصلوح ، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، مجلس النشر العلمي ، لجنة التأليف والتعريب والنشر ، جامعة الكويت ، الكويت ، ط1 ، 2003 ، ص 237 .

<sup>2</sup> ينظر : مسعود بودوخة ، عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية ، المرجع السابق ، ص 46 .

<sup>3</sup> ينظر : عبد الكريم بن جمعان ، إشكالات النص دراسة لسانية نصية، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 2009 ، ص223 .

<sup>4</sup> ينظر : عمر أبو خرمة، نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، أريد، عمان، ط1، 2004، ص98 .

الكل وتماسكه ، ومن ثم هناك علاقة بين علم البديع والجمال ذلك أنّ هذا الأخير لا يتحقق إلا من خلال التناسب<sup>1</sup> .

وللبديع قدرة على تحقيق الوظيفة الجمالية ، لأن البديع يقوم بالأساس على مبدأ التكرار ، أو التقابل ، أو التجاور ، أو التشابه ، في البناء الصوتي أو التركيبي أو الدلالي ، ولا شك أن هذه الهندسة اللغوية ستلقي بظلالها على تحقيق جماليات النص، وهذا يترك أثره في المتلقي.

وأكثر مباحث البديع تكون "تناسباً صوتياً كالموازنة والتصريع وكل ما يلحق بالوزن والقافية من حيث المبدأ ، أو تناسباً دلاليّاً صوتياً كالجناس والطباق وغيرها ، فهذه الأنواع تقوم في عمومها على تناسب بين طرفين أو أكثر في النص ، وهي تحقق هذا التناسب بوصفه مقياساً جمالياً له أهمية في التأثير الإيجابي في المتلقي وكسب تفاعله ، وإعجابه، ولهذا ارتبطت تلك المحسنات البديعية عند أكثر البلاغيين بما أسماه المناسبة والملاءمة والترابط والتلاحم وغير ذلك"<sup>2</sup> .

وتحقيق البديع للوظيفة الجمالية يدل على أصالته وعدم تبعيته لعلم ما ؛ لأنّ الوظيفة الجمالية هي السمة الخاصة في اللغة الشعرية ، وهي التي تميزه من غيره ، غير أنها ليست منفردة أو وحيدة ، فهناك وظائف أخرى تصحبها وتسهم معاً في العمل<sup>3</sup> .

ويظهر الشكل البديعي في النص فيكون من أهم خصائصه، ومن ثم تتوجه هذه الخصائص إلى المتلقي ، ويكشف جماله ودلالاته من خلاله ، لأن الجميل يعني خصائص الشيء الجميل، فضلاً عن التأثيرات الناجمة عن تلك الخصائص<sup>4</sup> .

والبديع في شطره اللفظي يحقق عناصر الجمال ذات الوقع العالي على النفس وأخص خصائصها في الشعر الوزن والقافية، وفي النثر السجع والترصيع والتكرار وغيرها من

1 ينظر: مصطفى عبده، المدخل إلى فلسفة الجمال، المرجع السابق، ص76. وينظر: جيروم ستولنيتز، النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية، تر: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 1981، ص38 .

2 مسعود بودوخة ، عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية ، المرجع السابق ، ص 188 – 189 .

3 ينظر: جان موكاروفسكي ، اللغة المعيارية واللغة الشعرية ، تر: ألفت كمال الروبي ، مجلة فصول المجلد الخامس العدد الأول أكتوبر نوفمبر ديسمبر 1984 ، ص 39 .

4 ينظر : ستانلي هايمن ، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ، تر: إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، ط1، 1960 ، 112/2 .

عناصر الشكل المهمة ذات التأثير الإيحائي الذي هو أكثر شيوعاً في الاستعمال وأكثر تأثيراً وسهولة إدراك ، مما يقابلها من مؤثرات الإقناع المنطقية البراهين الغامضة<sup>1</sup> .

فضلاً عن إيقاع التقابل في شطره المعنوي الذي يولد لذة الإحساس بالاكتمال الدلالي ، فالفعل الأدبي الحق هو الذي تتآزر أجزاؤه ويفسر أحدها الآخر ، وينسجم كل منها ويتساند في نطاق التناسب مع أهداف التنسيق العروضي وآثاره المعروفة ، وذلك مما يولد لذة ترافق حركة الذهن حيث تثيره مفاتن الرحلة نفسها ولا تكتمل حتى الوصول إلى نقطة النهاية وبهذا يكون الشكل الجميل هو الذي يطلبه المعنى وليس عنصراً مضافاً إلى قطعة نثرية<sup>2</sup> ، ذلك أن الإيقاع من "لوازم المعنى الحركي وليس من مفترضاته ، أي هو لازم ذاتي للمعنى ، وليس متكلفاً فيه ، نظراً لأن المعاني ترافقها المقاطع الصوتية والإيحاءات الجرسية في أداء مقتضيات النظم وقواعد التناسب"<sup>3</sup> .

وقد أشار إليهما القرطاجني بقوله: "فإن للنفوس في تقارن التماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراها تحريكاً وإيلاءً بالانفعال إلى مقتضى الكلام ؛ لأنّ تناصر الحسن في المستحسنين التماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعا من سnoch ذلك لها في شيء واحد ، وكذلك حال القبح وما كان أملاك للنفس وأمكن منها فهو أشد تحريكاً لها ، وكذلك مثل الحسن إزاء القبيح أو القبيح إزاء الحسن مما يزيد غبطة بالواحد وتخليا عن الآخر لتبيين حال الضد بالمثل إزاء ضده، فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات من النفس عجيباً..."<sup>4</sup> .

ومما سبق تجدر الإشارة إلى أن القدامى يكتفون باستخراج المحسنات البديعية وإحصاء أنواعها ، الاهتمام بالشكل ، ودراسته مستقلاً عن السياق ، ولم يتعد عندهم إلى النص .

<sup>1</sup> ينظر : أبي الحسن حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط4، 2007 ، ص85 .

<sup>2</sup> ينظر: ديفيد ديتش، منهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، تر: محمد يوسف نجم، مر: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، 1967، ص159 .

<sup>3</sup> مشكور كاظم العوادي، المعنى الحركي في بدائع الإمام علي (ع)، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول، كلية التربية الأساسية جامعة الكوفة ، 9 - 10 ماي 2010 ، ص 247 .

<sup>4</sup> أبو الحسن القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، المرجع السابق ، ص44 - 45 .

أما المحدثون - عموماً - فقد أعادوا قراءة البديع بنظرة جديدة ، وردوا له الاعتبار ، وبينوا دوره في تفعيل النص الأدبي: إنتاج الدلالة في الإيقاع وتماسك النص وشعرية النص والجمالية ... ، وهي خصائص أسلوبية تجعله مهماً وأساساً في التعبير .

ومن ألوان البديع العكس والتبديل موضوع بحثنا وهو محسن بديع ثري بما يتضمنه من تكرار وتجانس وتقابل ومطابقة بوجود متفاوت ، تجعله ذا خصائص أسلوبية بارزة . ومن ثم سنتناولها نظرياً في فصلنا الأول هذا .

ثانيا - العكس و التبديل:

1 - تعريف العكس والتبديل :

أ - لغة :

تناول ابن منظور مادة عَكَسَ فقال: " عَكَسَ الشَّيْءَ يَعْكِسُهُ عَكْسًا فَانْعَكَسَ: رَدَّ آخِرُهُ عَلَى أَوَّلِهِ ...، وَالْعَكْسُ أَيضاً: أَنْ تَعَكِسَ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِلَى يَدِهِ بِخَطَامٍ تُضَيِّقُ بِذَلِكَ عَلَيْهِ، وَعَكَسَ الشَّيْءَ: جَذَبَهُ إِلَى الْأَرْضِ. وَتَعَكَّسَ الرَّجُلُ: مَشَى مَشْيَ الْأَفْعَى"<sup>1</sup>.

وجاء عن العكس في معجم الصحاح للجوهري قوله: "العكسُ: أن تشدَّ حبلًا في خَطْمِ البعير إلى رسغ يديه ليدلَّ، واسم ذلك الحبل العكاسُ. يقال: دون ذلك الأمر عكاسٌ ومكاسٌ. والعكسُ: ردُّك آخر الشيء إلى أوله، والعكيس: لبن يُصَبُّ على مرق كائناً ما كان تقول منه: عَكَسْتُ أَعَكِسُ عكسا، وكذلك الاعتكاس، والعكيس أيضا من اللبن: الحليب تُصَبُّ عليه الإهالة فيشرب، والعكيس: القضيبي من الحَبَلَةِ يُعَكَسُ تحت الأرض إلى موضع آخر"<sup>2</sup>.

وقد أورد الرازي في مختار الصحاح أن: "ع ك س: (العكس) ردك الشيء إلى أوله"<sup>3</sup>. و منه فالعكس يحمل معنيين ردَّ الشيء من أوله إلى آخره. و من موضع إلى آخر.

وأما التبديل فقد ورد في كتاب أساس البلاغة: "ب د ل: أبدله بخوفه أمناً وبدله مثله، وبدل الشيء: غيَّره، وتبدلت الدار بإنسها وحشاً، واستبدلته وبادلته بالسلعة إذا أعطيته شروى ما أخذته منه، وتبادلا ثوبيهما، وهذا بدل منه وبديل منه، وهم أبدال منهم وبدلاء"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ، ج6، ص145.

<sup>2</sup> الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987، ج3، ص951.

<sup>3</sup> الرازي، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1999، ص216.

<sup>4</sup> الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج1، ص50.

ورود في مقاييس اللغة أن: "بَدَل: الباء والبدال واللام أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب، يقال: هذا بدل الشيء وبديله، ويقولون بدلت الشيء: إذا غيرته وإن لم تأت له ببديل"<sup>1</sup>.

ويقول الصغاني عن مادة (ب د ل) : "الذي يبيع كل شيء من المأكولات: بَدال ...، باب المبدول من الحروف والمحول ...، والبدال أن يوضع لفظ موضع لفظ"<sup>2</sup>.

ومنه فالتبديل لغة يحمل معنى التغيير، ووضع شيء مكان شيء آخر، و هو ما يظهر أن العكس والتبديل يحملان المعنى نفسه و هو التغيير، ووضع الشيء مكان الشيء. لذلك فمدلولهما واحد عند العلماء - عموماً - . و هو ما يثبته تعريف أبي هلال العسكري الآتي.

#### ب - إصطلاحاً :

عرفه أبو هلال العسكري (ت 395هـ) بقوله: " أن تعكس الكلام فتجعل الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول، وبعضهم يسميه التبديل"<sup>3</sup>.

وقد اعتبره ابن سنان (ت 466 هـ) من الطباق، لأنه إذا قدم في الكلام ما كان مؤخراً بداية ، أصبح الجزءان في الكلام متضادين، حيث يقول: "ومما يجري مجرى المطابق: أن يقدم في الكلام جزء ألفاظه منظومة نظاماً ويتلى بآخر يجعل فيه ما كان مقدماً في الأول مؤخراً في الثاني و ما كان مؤخراً مقدماً"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، لبنان، د.ط، 1979، ج1، ص210.

<sup>2</sup> الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تح: إبراهيم إسماعيل الأبياري، مرا: محمد خلف الله أحمد، مطبعة دار الكتب، القاهرة، د.ط، 1977، ج5، ص267.

<sup>3</sup> أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر ، تح: علي محمد الجاوي، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة، ط2، 1952 ، ص371.

<sup>4</sup> ابن سنان، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية ، ط1، 1982، 203/1.

ويعرفه أحمد مصطفى المراغي بقوله: "هو أن تقدم في الكلام جزءا، ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت"<sup>1</sup>.

ومن تعريفات المحدثين " هو رد آخره على أوله ، فيصير آخره أوله"<sup>2</sup>.

#### II - أنواع العكس:

- **عكس الظاهر** : قال ابن الأثير: "هو نفي الشيء بإثباته ،وهو من مستصرفات علم البيان وذلك أنك تذكر كلاما يدل ظاهره أنه نفي لصفة موصوفا و هي نفي للموصوف أصلا"<sup>3</sup>.

- **عكس المعنى**: و هو من النوع الرابع عند العلوي :فقد قسمها إلى النسخ و السلخ و المسخ و عكس المعنى و الزيادة عليه معنى آخر وقال عن عكس المعنى: "و ما هذا حاله فهو بالغ في المجد كل مبلغ ، ومن لطافته و رشاقته يكاد يخرجها عن حد السرقة"<sup>4</sup>.

وهي كلها تعريفات متفقة - عموما - في مضمونها تقريبا مع اختلاف في المصطلحات والصياغة ، و ملخصها أن بعضهم سماه العكس أو المعكوس و بعضهم سماه التبديل وبعضهم سماه القلب وبعضهم فرق بين شواهد وأمثله فجعل بعضها عكسا وتبديلا وبعضها قلبا ومنهم من جعله جاريا مجرى الطباق ، و منهم من جعله ضربا من ضروب التجنيس، ومنهم من جعله من باب رد الأعجاز على الصدور... وليس وراء هذه الاختلافات الكبيرة فائدة ، فالذي يعيننا هو دراسة شواهد هذا اللون وصوره و تحديد مفهومه. وجعله قاصرا على الألفاظ دون الحروف وسمي ما يجري منه في الحروف قلبا... فالعكس في الألفاظ يقع على وجوه، منها أن يقع العكس بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليه كما في قولهم [شيم الأحرار أحرار

1 أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1993، ص326.

2 المرجع نفسه، ص326.

3 ابن الأثير، المثل السائر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، د.ط، 1939، 65/2.

4 إنعام نوال عكاري، معجم المفصل في علوم البلاغة ، البديع و البيان و المعاني، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 1996، ص371.

الشميم] ومنها أن يقع متعاقب فعلين في جملتين ، وهذا الوجه كثير الورد في الكلام الجيد والتراكيب البليغة و هو خال غالبا من التكلف<sup>1</sup>. و اعتبره ابن سنان يجري مجرى المطابقة أي الضد، كما سماه بعضهم (المقابلة العكسية)<sup>2</sup>.

لذلك سنتطرق في الفصل الأول هذا إلى المقابلة والطباق و الجناس والتكرار لأن العكس والتبديل يتضمن كل هذه الأنواع من البديع.

<sup>1</sup> ينظر: إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 1996، ص371.

<sup>2</sup> ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، مكتب لبنان، بيروت، د.ط، 2007، ص87-88.

ثالثا - التقابل :

1 - تعريف المقابلة:

أ - لغة :

التقابل من مادة (قبل)، و قد ورد فيها أن المقابلة: المواجهة و التقابل مثله<sup>1</sup>، وفي "اللسان" قابل الشيء بالشيء مقابلة: عارضه وتقابل القوم: استقبل بعضهم بعضا. وهو قابلك وقابلتك أي تجاهك<sup>2</sup>.

ومنه فالتقابل يحمل معاني المواجهة والمعارضة.

ب - اصطلاحا :

يعرفه السكاكي (ت626هـ) بقوله: "هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر، وبين ضدَيْهما"<sup>3</sup>.

و من تعريفات المحدثين: "أن يأتي المتكلم بلفظين فأكثر ، ثم بأضدادها أو غيرهما على الترتيب"<sup>4</sup>.

مما سبق يظهر أن التقابل يشترط فيه وجود معنيين متوافقين أو أكثر، ووجود ضدَيْهما، كما يشترط فيه الترتيب. لذلك رأى ابن أبي الإصبع أن "صحة المقابلات عبارة عن توخي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي. فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب... و متى أخلّ كلامه بالترتيب كان الكلام فاسد المقابلة"<sup>5</sup>.

1 الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفار عطار، دار الملايين، بيروت، ط1، 1987، 1797/5.

2 ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت ، ط1، دت ،مادة (قبل)، 534/11.

3 السكاكي مفتاح العلوم ،تح: عبد الحميد هندواي ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2000، 1 ص 533.

4 عبد القادر حسين، فن اليديع، دارالشرق، القاهرة، ط1 ، 1983م، ص49.

5 ابن أبي الإصبع، تحرير التحيير، تح: حفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، دط، دت، 179/2.

II - تعريف الطباق :

أ - لغة :

يعرفه الزمخشري (ت538هـ) : " (طبق) وافق شن طبقة و أطبقت الرّحى إذا وضعت الطبق الأعلى على الأسفل، و طابق الغطاء الإناء، و انطبق عليه و تطبق...وطابق بين الشيئين جعلهما على حذو واحد...و طابق الفرس و البعير:وضع رجله في موضع يده ...و منه مطابقة المقيد :مقاربة خطوة" <sup>1</sup>.

ويعرفه ابن منظور: "طبق غطاء كل شيء و الجمع أطباق، و قد أطبقه و طبقه فإنطبق و تطبق : غطاه و جعله مطبقا و منه قولهم : لو تطبقت السماء على الأرض ما فعلت كذا و قد طابقه مطابقة و طباقا، و تطابق الشيئان: تساويا . و المطابقة : الموافقة و التطابق : الإتفاق وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحد و ألزقتهما" <sup>2</sup>.

ويسمى الطباق في لغة : هو المطابقة و التكافؤ و التضاد وضع طبق على طبق، كوضع غطاء القدر منكنفا على فم القدرحتى يغطيه بإحكام، و منه إطباق بطن الكف على الكف الآخر تقول : طابق الشيئ على الشيئ مطابقة و طباقأي أطبقه عليه و هذا الإطباق يقتضي في الغالب التعاكس، فبطن الغطاء على بطن القدر إلى الأسفل <sup>3</sup>.  
و منه فالطباق لغة يحمل معاني الغطاء و التساوي و الموافقة و الإلصاق.

ب - اصطلاحا:

يظهر ابن المعتز في كتابه البديع ، و الذي جعل فيه المطابقة هي الباب الثالث من أبوابه الخمسة و الذي يقول فيه : "قال الخليل رحمة الله : يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد ، و كذلك أبو سعيد ، فالقائل لصاحبه : أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان ، و قد طابق بين السعة و الضيق في هذا الخطاب...<sup>4</sup>.  
والذي يفهم من المطابقة عند ابن المعتز أيضا هو ما فهمه السكاكي حين عرفها : " و هي أن تجمع بين متضادين" <sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، 594/1.

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، دط، دبت، 2636/5.

<sup>3</sup> ينظر: أيمن عبد الغني ، الكافي في البلاغة، دارالتوفيقية للتراث، القاهرة، دط، 2011، ص171.

<sup>4</sup> عبد الله ابن المعتز، كتاب البديع، تح: إ. كراتشوفسكي، دارالمسيرة، بيروت، ط3، 1982، ص36.

<sup>5</sup> السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987، ص179.

وأما عند المحدثين فهو الجمع في العبارة بين معنيين متقابلين على سبيل الحقيقة، أو على سبيل المجاز، و لو إيهاما ولا يشترط كون اللفظين الدالين عليهما من نوع واحد كاسمين أو فعلين، فالشرط التقابل في المعنيين فقط، والتقابل بين المعاني له وجوه، منها مايلي: تقابل التناقض كالوجود والعدم، والإيجاب والسلب، و تقابل التضاد كالأسود والأبيض، والقيام والقعود، وتقابل التضايق كالأب والابن، والأكبر والأصغر، والخالق والمخلوق<sup>1</sup>. و يعرفه معجم البلاغة العربية بقوله: "هو الجمع بين متضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة بأن يكون بينهما تقابل و لو في بعض الصور"<sup>2</sup>.

### III - بلاغة التقابل:

الطباق و المقابلة لونا بديعيان يمثلان ثنائيات ضدية متقابلة، و قد تكون هذه الثنائيات الضدية بين كلمتين أو أكثر، لذلك فهما يشتركان في الضد، من بينهما علاقة وثيقة، و لعل هذا ما جعل المصطلحين متداخلين عند العلماء من ذلك يعرف القرطاجني (ت684هـ) الطباق بقوله: " وإذا كان حقيقة الطباق مقابلة الشيء بما هو على قدره و من وفقه سمي المتضادان إذا تقابلا ولاءم أحدهما في الوضع الآخر متطابقين"<sup>3</sup>. فالتقابل أسلوب تعبيرى يقوم على مبدأ التضاد بين المعاني والألفاظ والأفكار والصور من أجل غايات بلاغية وفكرية وهي طريقة في آداء المعاني وإبراز تضادها وتناقضها. المقابلة البليغة ما جاءت صحيحة مطبوعة، وصحة المقابلة تتحقق من ترتيب الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى المتكلم في صدر كلامه بأشياء قابلها في عجزه بما يلائمها من أضدادها أو أغيارها من المخالف و الموافق على الترتيب<sup>4</sup>.

الطباق لون بديعي فطري يشيع في أساليب العامة والخاصة، بناء على ما هو مذكور من مقارنة بين الأضداد. و موازنة بين المتقابلات، نظرا لكثرتها أمام الأنظار في مشاهد الكون، ومظاهر الحياة، و صفات الخلائق على اختلاف ألوانها. و هو من الفنون التي تربط الكلام

<sup>1</sup> ينظر: عبد الرحمان الميداني، البلاغة العربية، دار القلم، بيروت، ط1، 1996، 377/2.

<sup>2</sup> بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار المنارة و الرفاعي، الرياض، ط3، 1988، ص154.

<sup>3</sup> منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تح الحبيب ابن خوجة، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1981، ص48.

<sup>4</sup> ينظر: الشحات محمد أبو سنتيت، دراسات منهجية في علم البديع، دار الخفاجي، القاهرة، ط1، 1994، ص64.

ببعضه عن طريق علاقة التضاد، فالضد أقرب حضور بالبال عند ذكر ضده. وللضد شعب خفية ، وفيه مكانة ، وربما التبتت بها أشياء لا تتميز إلا للنظر الثاقب، والذهن اللطيف. ولذلك فإن بلاغة الضد لا تكمن في مجرد الجمع بين المعاني والألفاظ المتضادة ، فهذه حلية شكلية وزخرفة لفظية لا تقاس بها جودة الأسلوب ولا تقدر بها قيمته. وإنما ترجع بلاغة الضد إلى تأثيره في ناحيتين : ناحية لفظية وذلك بمجيئه في الأسلوب سلسا طبعاً غير مكلف، فيخلع عليه جزالة وفخامة ، ويجعل له وقعا جميلا مؤثرا<sup>1</sup>، وناحية معنوية بما يحققه من إيضاح المعنى وإظهاره وتأكيدِه وتقويته ، عن طريق المقارنة بين الضدين ، وتصور احد الضدين فيه تصور للأخر.

وعلى هذا فالذهن عند ذكر الضد يكون مهيباً للأخر ومستعداً له ، فإذا ورد عليه ثبت و تأكد فيه. وينبغي أن يكون الأثر المعنوي للضد هو القائد إليه ، والدافع نحوه وقد أكد الإمام عبد القاهر على الإضافة المعنوية للضد وسائر فنون البديع، و جعل عليها الحسن والقبح . حيث رأى أن الحسن والقبح لا يعترض بهما الكلام إلا من جهة المعاني دون الألفاظ<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الشحات محمد أبو سنتيت، دراسات منهجية في علم البديع، المرجع السابق، ص 50.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 51.

رابعاً - التكرار:

يعد التكرار ظاهرة لغوية، عرفت في العربية في أقدم نصوصها التي وصلت إلينا، نعني بذلك الشعر الجاهلي، وخطب الجاهلية، وغيرها ، ثم استعمله القرآن الكريم، ووردت في الحديث النبوي الشريف، وكلام العرب شعره ونثره من بعد... .

أ - تعريف التكرار :

أ - لغة :

"الكُرُّ : الرجوع عليه ومنه التكرار"<sup>1</sup> ، وحدده : ابن منظور فأعطاه المعنى اللغوي الشامل، حين قال في مادة (كرر): "الكُرُّ الرجوع يقال كَرَّهَ والكُرُّ مصدر كَرَّ عليه يَكُرُّ كَرًّا وكُرُورًا وتَكْرَارًا عطف وكَرَّ عنه رجع وكَرَّ على العدو يَكُرُّ ورجل كَرَّار ومِكْرٌ وكذلك الفرس وكَرَّرَ الشيء وكَرَّرَهُ أعاده مرة بعد أخرى والكِرَّةُ المَرَّةُ والجمع الكِرَّات ويقال كَرَّرْتُ عليه الحديث وكَرَّرْتُهُ إذا رَدَّدْتُهُ عليه..."<sup>2</sup> .

فالتكرار لغة إذا يحمل معاني الرجوع والعطف والترداد .

ب - اصطلاحاً :

فقد عرّفه ابن الأثير بقوله: "هو دلالة اللفظ على المعنى مردداً"<sup>3</sup> ، فقد قصر التكرار على الكلمة ، لأنّ الملاحظ أنّ التكرار لا يقتصر على الكلمة في حد ذاتها، ولكنه يمتد ليشمل جميع مستويات الكلام.

ويعرف الشريف الجرجاني التكرار بقوله: "عبارة عن الإتيان بشيء مرّة بعد أخرى"<sup>4</sup> .

أما ابن أبي الأصبع المصري فيقول : "وهو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد"<sup>1</sup> ، وقد قصر أيضاً على اللفظ وأكد على دوره الدلالي فقط .

1 الخليل، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار الهلال بيروت، د.ط، د.ت ، 277/5 .

2 ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت، د.ط، د.ت، 135/5 .

3 ابن الأثير، المثل السائر، تج: محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، د.ط، 1939 ، 157/2 .

4 الشريف الجرجاني، التعريفات، تج: محمد الصديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة، د.ط، 2004 ، ص 59 .

ومنه فالتكرار هو إعادة الصوت أو الكلمة أو الجملة لغرض من الأغراض .

## II - أقسام التكرار :

قسّم النُّقَّاد التَّكرار إلى قسمين: يتمثل الأول في تكرار اللفظ ويتمثل الثاني في تكرار المعنى ، ولقد أشار إلى هذه القسمة ابن الأثير في قوله : "ينقسم التَّكرار إلى قسمين أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى، والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ"<sup>2</sup> .

وأورد السجلماسي هذه القسمة في أثناء حديثه عن التَّكرار وجاء ذلك في قوله: "فذلك جنس عالٍ تحته نوعان : أحدهما التَّكرار اللفظي ونسميه المشاكلة ، والثاني التكرير المعنوي ونسميه المناسبة؛ وذلك لأنَّه إما أن يعيد اللفظ ، وإما أن يعيد المعنى ، فإعادة اللفظ هو التكرير اللفظي أو المشاكلة ، وإعادة المعنى هو تكرير المعنى أو المناسبة"<sup>3</sup> .

فمن خلال هذه الآراء يتبين لنا أن النُّقَّاد القدامى قسموا التَّكرار إلى قسمين : تكرار الألفاظ وتكرار المعاني.

وأجمع النُّقَّاد على تقبيح التَّكرار الذي لا يفيد معنى وليس له فائدة ولا يؤدي غرضاً ، أما التكرار المفيد فهو ضروري في الكلام لا يمكن الاستغناء عنه، والمتكلم يحتاج إلى إعادة اللفظة والجملة .

## III - بلاغة التكرار وجماليته :

لعل من أبرز صور التناسق في ظواهر الأشياء هو الانسجام في تكرار الوحدات الجزئية المكونة للكل ، والتكرار في التعبير الأدبي هو تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغماً موسيقياً يتقصده الناظم في شعره أو نثره ، وأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني"<sup>4</sup> ، ونكاد نلمس في قول ابن رشيق "ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة

<sup>1</sup> ابن أبي الأصعب المصري ، تحرير التحبير ، تحقيق : حنفي محمد شرف مطابع شركة الإعلانات الشرقية القاهرة، د.ط، د.ت، ص375.

<sup>2</sup> ابن الأثير، المثل السائر، تح: محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، د.ط، 146/2 .

<sup>3</sup> السجلماسي ، المنزوع البديع في تجنيس أساليب البديع ، تح: علال الغازي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1980، ص476 .

<sup>4</sup> ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981، 73/2 .

التشوق والاستعذاب إذا كان في تغزل أو نسيب<sup>1</sup> ، الغاية التي يتقصدها الناظم بتكراره لفظة ما في نظمه ، كأن يكون اسماً يثير تشوقاً واستعذاباً ، كقول قيس بن ذريح :

أَلَا لَيْتَ لُبْنَى لَمْ تَكُنْ لِي حُلَّةً \*\*\* وَلَمْ تَرْنِي لُبْنَى وَلَمْ أَدْرِ مَا هِيَ<sup>2</sup>

وهذا الضرب من التكرار هو الذي يفيد تقوي النغم في الكلام ، وهو الأكثر شيوعاً في النثر والشعر ، قال ابن رشيق : "وهو في المعاني دون الألفاظ أقل"<sup>3</sup> .

والتكرار أسلوب عرفه العرب منذ القدم ، فقد وجد في كلامهم شعراً أو نثراً أو بصيغ مختلفة ، قال ابن فارس : "ومن سنن العرب التكرار والإعادة إرادة الإبلاغ فحسب العناية بالأمر..."<sup>4</sup> .

وكذلك قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد/05] ، نجد هنا تكرر "أولئك" ثلاث مرات ، ولم تجد لهذه الكلمة المكررة مع ما جاورها إلا حسناً وروعة ، فالأولى والثانية : تسجلان حكماً عاماً على منكري البعث : كفرهم بريهم وكون الأغلال في أعناقهم ، والثالثة : بيان لمصيرهم المهين . ودخولهم النار ، ومصاحبتهم لها على وجه الخلود الذي لا يعقبه خروج منها . ولو أسقطت (أولئك) من الموضعين الثاني والثالث لترك المعنى واضطرب ، فتصبح الواو الداخلة على : ﴿الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ واو حال ، وتصبح الواو الداخلة على : ﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ عاطفة عطفاً يرك مع المعنى ، لذلك حسن موضع التكرار في الآية لما فيه من صحة المعنى وتقويته ، وتأکید النسبة في المواضع الثلاثة للتسجيل عليهم<sup>5</sup> .

وتكرار الأداة في القرآن الكريم نجد منه قوله سبحانه وتعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل/119] ، وقوله : إن ربك من بعدها تأكيد لفظي لقوله : ثم إن ربك لزيادة الاهتمام بالخبر على الاهتمام الحاصل بحرف التوكيد ولام الابتداء . ويتصل خبر إن باسمها لبعدها ما بينهما . ووقع الخبر بوصف الله بصفة

1 المصدر نفسه ، 74/2 .

2 ينظر : المصدر نفسه ، 74/2 .

3 المصدر نفسه ، 73/2 .

4 ابن فارس ، الصحابي في فقه اللغة العربية ، تحقيق : أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1997 ، ص 158 .

5 ينظر : عبد العظيم المطعني ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ، 1992 ، ج1 ، ص324 .

المبالغة في المغفرة والرحمة، وهو كناية عن غفرانه لهم ورحمته إياهم في ضمن وصف الله بهاتين الصفتين العظيمتين . والباء في بجهالة للملابسة، وهي في موضع الحال من ضمير عملوا . وضمير من بعدها عائد إلى الجهالة أو إلى التوبة<sup>1</sup> .

ومن تكرار الفاصلة في القرآن الكريم نجد مثلا قوله جل وعلا : ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنُذْرٍ﴾ [القمر/30،18،21،16] ، قد صاحبت في كل موضع من مواضع تكرارها قصة عجيبة الشأن، وكان أول موضع ذكرت فيه عقب قصة قوم نوح ،وبعد أن صورَّ القرآن مظاهر الصراع بينهم وبين نوح عليه السلام ثم انتصار الله لنبيه عليهم ،حيث سلط عليهم الطوفان ،فأغرقهم إلا من آمن وعصمه الله<sup>2</sup> .

ونجد أن الله نجى نوحاً وتابعيه ، ولكن تبقى هذه القصة موضع عظة وادكار ، ولتلفت إليها الأنظار وللتحويل من شأنها جاء قوله تعالى عقبها : ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنُذْرٍ﴾ مُصدراً باسم الاستقهام (كيف) للتعجب مما كان ، ولقد مهَّد لهذا التعجب بالآية السابقة عليه ، وهي قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر/15] ، والموضع الثاني لذكرها حين قصَّ علينا القرآن قصة عاد وعتوها عن أمر ربها ، وفي (عاد) هذه نجد العبارة اكتتفت القصة بدءاً ونهاية<sup>3</sup> .

وقال تعالى : ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنُذْرٍ ، إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ، تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ، فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنُذْرٍ﴾ [القمر/18،19،20،21] ، وتكرار العبارة - هكذا - في البداية والنهاية مخرج لها مخرج الاهتمام، مع ملاحظة أن أحداث القصة صُورت في عبارات قصيرة ولكنها محكمة وافية، ولم يسلك هذا المسلك في قصة نوح - أعنى قصر العبارات - ولعل السبب يظهر في أن إهلاك قوم نوح كان بالإغراق في الماء، وهي

<sup>1</sup> ينظر : ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 ، ج14 ، ص314 . وينظر : المطعني ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، المرجع السابق ، 322/1 .

<sup>2</sup> ينظر : المطعني ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، المرجع السابق ، 325/1 .

<sup>3</sup> ينظر : عبد العظيم المطعني ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، المرجع السابق ، 325،326/1 . وينظر : محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 ، 186/27 .

وسيلة كثيراً ما تكون سبب هلاك. فقد كانت سبب هلاك فرعون وملئه، أما أن يكون الإهلاك بالريح فذلك أمر يدعو إلى التأمل والفكر<sup>1</sup>.

ولعل مما يقوى هذا الرأي، أن هذه القصة - قصة عاد - وردت في موضع آخر من القرآن يتفق مع هذا الموضع من حيث الفكرة، ويختلف معه - قليلاً - من حيث طريقة العرض وزيادة التفصيل. جاء في الحاقة: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ مُخْلِ حَاوِيَةٍ، فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة/8،7،6] ، فإرسال الريح - هكذا - سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً مدعاة للعظة والاعتبار<sup>2</sup>.

ونلتفت إلى لغة التكرار في الشعر حيث تظل باعثة نفسياً يهيئه الشاعر بنغمة تأخذ السامعين بموسيقاها ولا عجب فالعاشق يحلو له ذكر اسم محبوبته وتطرب نفسه لذكره، وهو أبداً يود سماعه من لسانه أو من غيره، يقول ابن الفارض شاعر الصوفية المشهور<sup>3</sup> :

أَبْرُ ذِكْرَ مَنْ أَهْوَى ، وَلَوْ بِمَلَامٍ \*\*\* فَإِنَّ أَحَادِيثَ الْحَبِيبِ مُدَامِي  
لَيْشْهَدَ سَمْعِي مَنْ أَحَبُّ وَإِنْ نَأَى \*\*\* بِطَيْفِ مَلَامٍ لَا بِطَيْفِ مَنَامٍ  
وحسب التكرار في الغزل والنسيب علوقاً في الذهن اقتران أسماء بعض الشعراء بمن أحبوا ، فعرف المجنون بليلي وجميل ببثينة ، وكثير بعزة وغيرهم .

وإذا كانت النفس تهفو لألفاظ الغزل والنسيب فحسن تكرر الأسماء في معرض الاستعذاب والتشوق والتأسي ، فإن التكرار يحسن في موضع المدح على سبيل التنويه بالممدوح والإشارة إليه بذكر<sup>4</sup> . إضافة إلى أنه يحسن في مواضع أخرى كثيرة كالوعيد والتهديد والرتاء .

ولاشك أن التكرار أسلوب استعمله العرب ، في شعرهم ونثرهم ، وأنه من سننها واستعمله القرآن الكريم وأن له وظيفتين ، إحداها دلالية والأخرى إيقاعية جمالية لكن هناك من لا يحسن

<sup>1</sup> ينظر : المطعني ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، المرجع السابق ، 326/1 .

<sup>2</sup> ينظر : المرجع نفسه ، ج1 ، ص 326 .

<sup>3</sup> ينظر : ماهر مهدي هلال ، جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1980 ، ص241 .

<sup>4</sup> ينظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، المرجع السابق، 74،75/2 .

توظيفه الكلام ، فلا تكون له جدوى ، بل ويفسده ويفسد المعنى ، ومن ثم فهناك التكرار الحسن والتكرار القبيح .

خامسا - الجنس:

أ - تعريف الجنس :

أ - لغة :

"الجنس: الصَّربُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الطَّيْرِ وَمِنْ حُدُودِ النَّحْوِ وَالْعَرُوضِ وَالْأَشْيَاءِ جَمَلَةٌ وَالْجَمْعُ أَجْناسٌ وَجُنُوسٌ ... وَيُقَالُ: هَذَا يُجَانِسُ هَذَا أَيُّ يُشَاكِلُهُ، وَقُلَانٌ يُجَانِسُ الْبَهَائِمَ وَلَا يُجَانِسُ النَّاسَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ تَمَيُّزٌ وَلَا عَقْلٌ"<sup>1</sup>.

كما نقول: "جانس الشيء مجانسة وجناساً ، شاكله واتحدَّ معه في الجنس"<sup>2</sup>.

منه فالجناس هو الضرب والتشاكل والاتحاد .

ب - اصطلاحاً :

يقول الصفدي : " اعلم أن الجنس إمّا أن يكون ركناه متفقين لفظاً ، مختلفين معنى لا تفاوت في تركيبها ولا اختلاف في حركتهما فهذا هو الجنس التام ومنهم من يسميه (الكامل) ومنهم من يسميه (المستوفي) .. ، وهو أعلى أنواع الجنس مرتبة"<sup>3</sup> .

وقال ابن ميثم : " وهو أن يتحد اللفظان مع اختلاف معناهما "<sup>4</sup> .

وقال الخطيب القزويني : " الجنس هو تشابههما في اللفظ والتام منه أن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها "<sup>5</sup> .

ومما سبق يظهر أن الجنس هو اتفاق الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى.

1 ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط3 ، 1993 ، 43/6 .

2 بطرس البستاني ، محيط المحيط ، مطابع سيبو - برس ، بيروت ، د.ط ، 1987 ، ص 128 .

3 صلاح الدين خليل الصفدي ، جنان الجنس في علم البديع ، تحقيق : سهير حسن حلبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1987 ، ص

45 .

4 كمال الدين بن ميثم البحراني ، أصول البلاغة ، تحقيق : عبد القادر حسين ، دار الشروق ، القاهرة ، د.ط ، 1981 ، ص 45 .

5 الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2003 ، ص 288 .

II - أقسام الجناس :

1 - الجناس التام : وهو أقسام :

أ - المماثل :

وهو ما كانت لفظتاه في الركنين من نوع واحد ، وقال السيوطي : "بأن يكونا من نوع واحد إما اسمان مفردان أو جمعان أو مختلفان أو فعلان أو حرفان"<sup>1</sup> .

ومثاله : قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [الروم/55] ، الساعة الأولى بمعنى القيامة ، والثانية بمعنى القطعة من الزمن ، "ولا يمنع من الجناس التام زيادة الألف واللام ، لأنهما زائدتان على الكلمة ، ولا اختلاف حركة الإعراب ، لأن الساعة مرفوعة وساعة مجرورة"<sup>2</sup> .

ب - المستوفي :

وهو أن يكون ركنا الجناس التام من نوعين ، كاسم وفعل ، أو اسم وحرف ، أو فعل وحرف ، ويقول القزويني : "وإن كانا من نوعين كاسم وفعل سمّي : المستوفي"<sup>3</sup> ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ﴾ [يونس/21] .

ج - المركب :

ويسمى جناس التركيب "وهو أن يكون أحد ركنيه مركبا أو كلاهما"<sup>4</sup> . وهو بأنواع:

❖ - المفروق : وهو ما كان أحد ركنيه من جزئين مستقلين كقول البستي:

وإن أقرَّ على رِقِّ أنامِلُهُ \*\*\* أقرَّ بالِرِّقِّ كُتَّابُ الأنَامِ لَهُ<sup>5</sup>

1 السيوطي ، جني الجناس ، تحقيق: محمد علي رزق خفاجي ، الدار الفنية ، القاهرة ، ط1 ، 1986 ، ص 73 .

2 السيوطي ، جني الجناس ، المرجع السابق ، ص 75 .

3 الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، المرجع السابق ، ص 289 .

4 صلاح الدين خليل عز الدين الصفدي ، جنان الجناس في علم البديع ، المرجع السابق ، ص 53 .

5 ينظر : علي صدر الدين المدني ، أنوار الربيع ، تح: شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان ، النجف ، العراق ، ط1 ، 1968 ، 104/1 .

❖ - المقرون ( المتشابه ) : وهو ما اتفق ركناه لفظاً وخطاً ، وسماه ابن حجة المطلق، كقول الشاعر :

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هَبَةٍ \*\*\* فَدَعَهُ فَدَوَّلَتْهُ ذَاهِبَةً<sup>1</sup>

❖ - المرفوق : وهو أن يكن أحد ركني الجنس مستقلاً والآخر من كلمة وبعض كلمة كقول الحريري :

وَلَا تَلُهُ عَن تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَابِكِهِ \*\*\* بدمعٍ يُضَاهِي الْمُرْنَ حَالَ مَصَابِهِ

وَمَثَلٌ لِعَيْنَيْكَ الْجِمَامَ وَوَقَعَهُ \*\*\* وَرُوعَةً مَلَقَاهُ وَمَطْعَمَ صَابِهِ<sup>2</sup>

ف(مصاب) الأولى نزول المطر و(مطعم صابه) أي طعم مره .

❖ الملقق : وهو "أن يقع ركننا الجنس مركبين وكل ركن مركب من جزئين مستقلين"<sup>3</sup> ، كقول الصلاح الصفدي :

إِذَا جَرَّحَ الْعِشَاقُ قَالُوا أَقَمْتَ فِي \*\*\* مَدَارِجِ رَاحٍ أَمْ مَدَارِجِ جِرَاحٍ<sup>4</sup>

## 2 - الجنس غير التام (الناقص):

وسمي ناقصاً عن التمام إذ إن فيهما علة تجعلهما غير متشابهين تشابهاً تاماً ، وهو

أقسام :

### أ - جناس التحريف :

ويسمى أيضاً المختلف والمحرف<sup>5</sup>، ويسمى المغاير، وهو "أن يتفق ركناه في الحروف دون

الحركات"<sup>6</sup>.

1 ينظر : صلاح الدين خليل عز الدين الصفدي، جنان الجنس في علم البديع، المرجع السابق، ص 53 .  
2 القاسم بن علي الحريري، مقامات الحريري، تحقيق : يوسف بقاعي، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط1، 1981، ص 158 .  
3 صلاح الدين خليل عز الدين الصفدي، جنان الجنس في علم البديع، المرجع السابق، ص 58 .  
4 علي صدر الدين بن معصم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، ج1، ص 127 .  
5 ينظر : جلال الدين السيوطي، جني الجنس، المرجع السابق، ص 161 .  
6 المرجع نفسه، ص 161 .

وقال عنه ابن أبي الإصبع هو: "الذي يكون الضبط فيه فارقاً بين الكلمتين أو بعضهما"<sup>1</sup> ، كقوله تعالى : ﴿وَأَجَارِ الْجُنُبَ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [النساء/36] ، فالكلمتان هما الْجُنُبِ الْجُنُبِ وكل منهما لها معنى مختلف والفارق حركة النون والجيم .

#### ب - جناس التصحيف :

"وهو ما تماثل ركناه في الحروف وتخالفا في النقط"<sup>2</sup> ، فيكون النقط هو الفارق بين الكلمتين<sup>3</sup> .

كقوله تعالى : ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ [الكهف/104] .

#### ج - جناس التصريف :

وهو "اختلاف صيغة الكلمتين بإبدال حرف من حرف ، إما من مخرجه أو من قريب من مخرجه"<sup>4</sup> ، وسماه ابن معصوم الجناس اللاحق ، وقال عنه إنه "اختلاف حرف واحد بين اللفظين المتجانسين"<sup>5</sup> ، وعرفه ابن مالك بقوله : "أن تتفق الكلمتان في عدد الحروف وتختلفا في حرف واحد"<sup>6</sup> .

ومنه فإن اختلاف حرف واحد بين الكلمتين يسمى جناس التصريف.

وهو مثل قوله تعالى : ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر/75] ، فالجناس بين (تفرحون) و (تمرحون) والفارق في الفاء والميم .

1 ابن أبي الإصبع، بديع القرآن ، تحقيق: حفني محمد شرف، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط1 ، 1957 ، ص 29 .

2 علي صدر الدين بن معصوم المدني ، أنوار الربيع في أنواع البديع ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 148 .

3 ينظر : ابن أبي الإصبع ، تحرير التخبير ، تحقيق: حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مصر ، د.ط ، د.ت ، ص 105 .

4 ابن أبي الإصبع ، بديع القرآن ، المرجع السابق ، ص 29 .

5 علي صدر الدين بن معصوم المدني ، أنوار الربيع في أنواع البديع ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 134 .

6 بدر الدين بن مالك ، المصباح في المعاني والبيان والبديع ، تح: حسني عبد الجليل يوسف ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1 ، 1989 ، ص 188 .

د - جناس الترجيع :

وهو "أن ترجع الكلمة بذاتها غير أنها تزيد حرفاً أو حرفين"<sup>1</sup> ، و ذكره ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير : "وهو في الحقيقة الذي يوجد في إحدى كلمتيه حرف لا يوجد في الأخرى وجميع حروف الأخرى موجود في الأولى"<sup>2</sup> ، أما السيوطي فيعرفه بأنه ما "يكون أحد الركنين مشتملاً على حروف الآخر وزيادة"<sup>3</sup> ، وفي الإشارات أن الاختلاف إذا كان بزيادة حرفٍ سمي ناقصاً وإن كان بزيادة حرفين سمي مزيلاً"<sup>4</sup> ، ويسمي ابن معصم "ما زاد أحد ركنيه عن الآخر حرفاً فصار كالذيل"<sup>5</sup> مزيلاً ، وهو كقوله تعالى: ﴿التَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاكُ﴾ [القيامة/29،30] ، والزيادة بحرف الميم جاءت في أول الكلمة الثانية .

و - جناس العكس :

قال فيه ابن منقذ "هو أن تكون الكلمة عكس الأخرى"<sup>6</sup> ، أي يكون ترتيب حروفها مختلفاً أو معكوساً ، ثم مثل بقوله سبحانه وتعالى : ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [طه/94] ، كما مثل بالوساد والسواد ، وعرفه ابن مالك بقوله: "هو أن تشتمل إحدى الكلمتين على حروف الأخرى دون ترتيبها كقول البحري :

شَوَاجِرُ أَرْمَاحٍ تُقَطِّعُ بَيْنَهُمْ \*\*\* شَوَاجِرَ أَرْحَامٍ مَلُومٍ  
فُطُوْعُهَا<sup>7</sup>

ه - جناس الاشتقاق وما يشبهه (المقارب) :

ذكره ابن سنان فقال: "ومن التناصب بين الألفاظ المجانس ، وهو أن يكون بعض الألفاظ مشتقاً من بعض ، وإن كان معناهما واحداً أو بمنزلة المشتق إن كان معناهما مختلفاً أو تتوافق

1 ابن الأثير، جواهر الكنز ، المرجع السابق ، ص 95 .  
2 ابن أبي الإصبع ، تحرير التحبير ، المرجع السابق ، ص 107 .  
3 جلال الدين السيوطي ، جني الجناس ، المرجع السابق ، ص 244 .  
4 محمد بن علي محمد الجرجاني ، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، المرجع السابق ، ص 291 .  
5 علي صدر الدين بن معصوم المدني ، أنوار الربيع في أنواع البديع ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 134 .  
6 أسامة بن منقذ ، البديع في نقد الشعر ، تحقيق : أحمد أحمد بدوي ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، د.ط ، 1960 ، ص 30 .  
7 بدر الدين بن مالك ، المصباح في المعاني والبيان والبديع ، المرجع السابق ، ص 190 .

صيغتا اللفظتين مع اختلاف المعنى ، وهذا إنما يحسن في بعض المواضع إذا كان قليلاً غير متكلف ومقصوداً في نفسه<sup>1</sup> .

وقد أحقه الخطيب القزويني بالجناس فقال: "واعلم أنه يلحق بالجناس شيئان: أحدهما: أن يجمع اللفظين الاشتقاق كقوله تعالى: ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ﴾ [الواقعة/89] ، والثاني أن يجمعهما المشابهة وهي ما يشبه الاشتقاق وليس به كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ثَأَقَلُّنْمُ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ [التوبة/38] ، وقول المولى أيضاً : ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء/168] ، قوله أيضا : ﴿وَجَعَى الْجُنْتَيْنِ دَانَ﴾ [الرحمن/54]<sup>2</sup> .

وأدخله ابن رشيق تحت اسم التجنيس المطلق : "قال أبو تمام فأحكم المجانسة بالاشتقاق : بحوافرٍ حفرٍ وصلبٍ صلبٍ \*\*\* وأشاعرٍ شعرٍ وخلقٍ خلقٍ"<sup>3</sup> .

### III - بلاغة الجناس وجماليته:

الجناس من فوائد البديع ، ومن حلى الكلام، ولما كان قائماً على التكرار أو المماثلة أو المشابهة ، فإنه " عملية فنية ممتعة ، تزين الكلام ، وتجعل الذهن ينتقل بين المعاني المختلفة ، وهو مستمتع بجرس موسيقي ينساب من الألفاظ المتشابهة المتجانسة"<sup>4</sup> .

ولاشك أن التجاوب الموسيقي الصادر من تماثل الكلمات تماثلاً كاملاً أو ناقصاً تطرب له الأذن، وتهتّر له أوتار القلوب ، والمجنس يقصد اختلاب الأذهان ، وخداع الأفكار<sup>5</sup> ، وهو ما " يؤكد أهمية الجناس في خلق الموسيقى الداخلية في النص الأدبي وبناء ما بين ألفاظه من وشائج التنعيم"<sup>6</sup> .

لكن " إذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعراً أو يستجيد نثراً ، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ ، فيقول : حلّو رشيق ، وحسن أنيق ، وعذبٌ سائغ ، وخلوب رائع أنه ليس

1 ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982، ص 193 .

2 الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المرجع السابق، ص 542 .

3 بن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط4، 1972، 324/1 .

4 أحمد أبو حاقا ، البلاغة والتحليل الأدبي ، دار العلم للملايين ، ط1، بيروت ، مارس 1988م ، ص 197 .

5 ينظر : عبد الفتاح لاشين ، البديع في ضوء أساليب القرآن ، دار المعارف ، مصر ، ط5 ، 1997 ، ص 167 .

6 بيسوني عبد الفتاح فيود ، علم البديع ، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع ، دار المعالم الثقافي ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط2 ، 1998 ، ص 294 .

ينبئك عن أحوالٍ ترجع إلى أجراس الحروف ، وإلى ظاهر الوضع اللغوي ، بل إلى أمرٍ يقع من المرء في فوائده ، وفضل يقنطحه العقل من زناده <sup>1</sup> .

فأصل الحُسن كما ذكر السكاكي " أن تكون الألفاظ توابع للمعاني ، لا أن تكون المعاني لها توابع" <sup>2</sup> ، وهذا ما أكد عليه عبد القاهر في النص السابق، وهو يكشف السرّ البديع للجناس وسرّ بلاغته وجماله ، فما الأمر الذي يقع في الفؤاد ، وما الفضل الذي يقنطحه العقل من زناده سوى المعنى الذي تتشوف إليه النفس ، ويقع منها موقع القبول والاستحسان والارتياح والاطمئنان .

يقول عبد القاهر : " وعلى الجملة فإنك لن تجد تجنيساً مقبولاً ، ولا سجعاً حسناً ، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه، واستدعاه، وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بدلاً، ولا تجد عنه جَوْلاً" <sup>3</sup>، ولهذا أكد على أنّ "أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقّه بالحسن وأولاه، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه، وتأهب لطلبه" <sup>4</sup> ، والجناس : "يقع في القرآن مطبوعاً غير متكلف ، فيحسن ويبدع لفاً ومعنى ، وهو من صميم البلاغة ، بشرط أن يضعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده" <sup>5</sup> .

من ذلك يعلق الزمخشري على الجناس في قوله تعالى: ﴿مِنْ سَبَأٍ بِنِيٍّ﴾ [النمل/22]، فقال: "وهو من محاسن الكلام الذي يتعلّق باللفظ ، بشرط أن يجيء مطبوعاً أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده . ولقد جاء هنا زائداً على الصحة فحسن وبدع لفظاً ومعنى ، ألا ترى أنّه لو وضع مكان ( بنياً ) : ( بخبرٍ ) لكان المعنى صحيحاً ؟ ، وهو كما جاء أصحّ ، لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال" <sup>6</sup> .

وخلاصة القول إن الجرس المنبعث من التجنيس بأنواعه لتماثل الكلمات أو تقاربها ، يبعث في النفس انتباهاً ، وقد يبعث نشوة ، وهذا الانتباه وتلك النشوة تدفعان القارئ للتمعن في محاولة

1 عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، تح: أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ، ط1 ، 1991 ، ص 7.6.5 .

2 يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987، ص 432 .

3 عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، المرجع السابق ، ص 11 .

4 المرجع نفسه ، ص 11 .

5 محمد محمد أبو موسى ، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، دار التضامن ، القاهرة ، 1988 ، ص 592 .

6 الزمخشري، الكشاف عن حقائق وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009،

إدراك المعنى وقد قالوا: "إن تشابه ألفاظ التجنيس تحدث بالسمع ميلاً إليه فإن النفس تتشوق إلى سماع اللفظة الواحدة إذا كانت بمعنيين وتتوق إلى استخراج المعنيين المشتغل عليهما ذلك اللفظ فصار للتجنيس وقع في النفوس وفائدة"<sup>1</sup> ، حيث أنه يحدث المفاجأة في القارئ في تشابه اللفظين واختلاف المعنيين .

<sup>1</sup> ابن الأثير، جواهر الكنز، المرجع السابق ، ص 91 .

# الفصل الثاني:

الخصائص الأسلوبية في

آيات العكس والتبديل.

أولاً - سورة البقرة ، الآية 187 :

قال تعالى : ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ .

الآية وردت ختاماً لأحكام وتعاليم الصيام والشهر الفضيل، وفيها أحكام منسوخة أو معدلة حيث حلت قبلها آيات فيها من الأوامر والنواهي الخاصة بـرمضان الكريم .

وجاء عن أسباب نزولها أنه كان الرجل إذا أمسى حل له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلى العشاء الآخرة أو يرقد، فإذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب ومجامعة النساء، ثم إنَّ عمر - رضي الله عنه - جَامَعَ زوجته في رمضان بعد صلاة العشاء ، فلما اغتسل أخذ يبيكى ويلوم نفسه، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال: يا رسول الله، إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة وأخبره بما فعل، فقال عليه الصلاة والسلام: ما كنت جديراً بذلك يا عمر . فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء، فنزلت. وقرئ : ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ...﴾ ، أي أحل الله ذلك<sup>1</sup> .

وفي اللغة "اللُبْسُ بالضم : مصدر قولك لبست الثوب ألبس ، و بالفتح: مصدر قولك لبستُ عليه الأمر ألبسُ ... ، واللِّبَاسُ: ما يُلبَسُ. وكذلك الْمَلْبَسُ. واللِّبْسُ بالكسر مثله"<sup>2</sup> . وهي استعارة بديعة المراد بها قرب بعضهم من بعض واشتمال بعضهم على بعض كما تشتمل الملابس على الأجسام فاللباس استعارة ، وهي تشبيه "كل واحد من الزوجين لاشتماله على صاحبه في العناق والضم باللباس المشتمل على لابسه"<sup>3</sup> .

وفي هذا الصدد فسرها سيد قطب على أن الصلة بين الزوجين كصلة الإنسان باللباس الساتر والواقى له فقال : "وكذلك هذه الصلة بين الزوجين. تستر كلاً منهما وتقيه"<sup>4</sup> . وفسرها الكشاف على أنها سبب إحلال المولى عز وجل إتيان الرجل زوجته في ليالي شهر رمضان

<sup>1</sup> ينظر: الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، تح: خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ط3 ، 2009 ، ص114، وينظر : أبو الحسن علي الواحدي، أسباب نزول القرآن، تح: كمال بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1991 ، ص53 .

<sup>2</sup> الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط2 ، 1979 ، ص973 .

<sup>3</sup> محمد علي الصابوني ، صفة التفاسير ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، د.ط ، 1401 هـ ، مج1 ، ص123 .

<sup>4</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، بيروت ، ط32 ، 2003 ، مج1 ، ص174 .

فهي "استئناف كالبيان لسبب الإحلال ...، وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهنّ مثل هذه المخالطة والملابسة قلّ صبركم عنهنّ وصعب عليكم اجتنابهنّ، فلذلك رخص لكم في مباشرتهنّ"<sup>1</sup>.

وغرض هذا الجزء من الآية الكريمة هو ترخيص للمسلمين بجماع الرجل لزوجته وأن المرأة ستر للرجل والرجل ستر للمرأة من الوقوع في المحرمات<sup>2</sup>. وتذكير أيضا بمنزلة مملكة الزواج عند الله تعالى فقد ذكره في كثير من المواضع في كتابه العزيز وفصلت أمره وهو ما يدل على أهميته عند المولى عز وجل ، وهو كذلك رفع للإنسان للارتقاء لكليته ولقيّمته ، وكشف لخبث مشاعره وتبيان لرحمته سبحانه وتعالى بالاستجابة لهواتف فطرتهم<sup>3</sup>.

وقد ورد الطباق في هذه الآية بين (هن ، أنتم) ، فهو جمع في سياق هذه الآية بين ضمير الجمع الغائب المؤنث ، وضمير الجمع المخاطب ، وهو معنى فيه التفات للمتلقى ، وفي التفات بعث على تنشيط ذاكرة المتلقي ، وتحريك لفكره ، فإن لهذا الجمع أيضاً دلالة على مستوى معين ، فـ (هن) اختصت بنساء المسلمين فقط ، و (أنتم) اختصت برجال المسلمين فقط ، وهذا لمستوى السياق ، وقد وقع الضمير الأول بتوجيه المرأة لواجبها اتجاه زوجها والضمير الثاني هو لتوجيه معشر الرجال بواجبهم اتجاه زوجاتهم والضميران يجتمعان في أمر الله للزوجين بوجوب جماع الزوج لزوجته<sup>4</sup>.

ومن البارز أيضا في هذه الآية اللون البديعي المعروف بالمقابلة ، وهو توفيق بين معاني ونظائرها ، والمتضاد بضده<sup>5</sup> ، حيث يكمن في:

(هُنَّ) يقابلها (أَنْتُمْ) ، و (لَكُمْ) يقابلها (لَهُنَّ) ، وهو تقابل متساوٍ بين الرجل والمرأة فإنهما في نفس الحق والواجب في هذه الآية فكل منهما هو ستر من العيوب ومن الوقوع في المعصية بعلاقة تكاملية ، وكل منهما شامل للآخر<sup>6</sup> ، كيف لا يكون كل هذا والزواج هو كما قال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء/21].

وسنذهب الآن لنقابل الجنس الذي قيل عنه "كلمتان متجانستان أي : شابهت إحداهما الأخرى"<sup>7</sup> ، وقد تحقق بين (لِبَاسٌ) و(لِبَاسٌ) ، فالأولى هي خاصة بفئة النساء والثانية هي خاصة بفئة الرجال فهما كلمتان متشابهتان تماماً لكن بمعنيين مختلفين ، فلكل واحدة منهما شأن ومقصد ومفهوم خاص .

<sup>1</sup> الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المرجع السابق، 114/2.

<sup>2</sup> ينظر : المرجع نفسه، 114/2.

<sup>3</sup> ينظر : سيد قطب، في ظلال القرآن ، المرجع السابق ، 175/1.

<sup>4</sup> ينظر : محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، المرجع السابق ، مج 1 ، ص 122 .

<sup>5</sup> ينظر : أحمد جمال العمري ، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ط ، 1990 ، ص 223 .

<sup>6</sup> ينظر : محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، المرجع السابق ، مج 1 ، ص 123 .

<sup>7</sup> بسيوني عبد الفتاح فيود ، علم البديع ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط 4 ، 2015 ، ص 271 .

ونجد التكرار الذي ظهر في الآية بترتيب متغاير ، أو هو تكرار بالمجاورة أو قرب بين الألفاظ ، فتوظيف بنيات التكرار منتج للدلالة<sup>1</sup> ، وهو ما تجسّد في ﴿هُنَّ لِيَأْسَ لَكُمْ﴾ و﴿أَنْتُمْ لِيَأْسَ لُهُنَّ﴾ ، فهو تكرار للنمط وللمعنى لكنه بأسلوب بليغ .

لقد كان للطباق والتقابل والجناس والتكرار في هذه الآية الأثر الكبير والبالغ في توضيح الأسلوب القرآني ومعانيه والمقاصد المرجوة منه ، فهي الأنسب لقدرتها على الرسم الجيد خاصة وألوان البديع الأخرى عامة ؛ فقد استعملها القرآن لتبيين مدى الأهمية الكبيرة لعلاقة الزوجين والبنية الزوجية حيث شبهها بعلاقة الجسد باللباس وهي علاقة وطيدة متينة<sup>2</sup> ، كيف لا وقد ذكر القرآن أهمية الزواج مرات عديدة وبطرق مختلفة كقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف/189] .

<sup>1</sup> ينظر : محمد عبد المطلب ، بناء الأسلوب في شعر الحدائث ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، 1995 ، ص 381 .  
<sup>2</sup> ينظر : ابن جرير الطبري ، أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تح: أحمد محمد شاكر ، ط1 ، 2000 ، ص489 .  
وينظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، المرجع السابق ، 184/1 .

ثانياً - سورة آل عمران ، الآية 27 :

قال تعالى : ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .

الآية الكريمة فيها إبراز قدرة الله تعالى على إيلاج الليل في النهار والعكس وإخراج الحي من الميت والعكس .

و"الولوج لغة هو الدخول والزيادة"<sup>1</sup> ، وقد فسر إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل بـ "إيجاد كل واحد منهما عقيب الآخر"<sup>2</sup> ، ومن ثم فهي استعارة لتعاقب ضوء النهار وظلمة الليل ، فكأن أحدهما يدخل في الآخر .

وبدخول إحدهما في الآخر تزداد مدته على مدة الآخر والعكس ، عدا أيام الاعتدال وهي لحظات قليلة<sup>3</sup> ، ولعل هذا ما جعل الألوسي (ت1270هـ) يقول في شرحها: "فجعل بين الليل والنهار نكاحاً معنوياً لما كانت الأشياء تتولد منهما معا ... ولهذا كان كل منهما مولجاً ومولجاً فيه فكل واحد منهما لصاحبه أصل وبعك فكل ما تولد في النهار فأمه النهار وأبوه الليل وكل ما تولد في الليل فأمه الليل وأبوه النهار"<sup>4</sup> .

فالغرض من الآية هو تقرير وتأكيد القدرة الإلهية تصويرها في أوسع معانيها وبيان السلطان في أشمل مظاهره وأكمه ، ولا يتم ذلك إلا بين الضدين ، والتعبير بالعكس والتبديل والحكم بأنه يقدر على الأمرين ، لأنه يقدر الشخص على شيء ولا يقدر على مُقابله<sup>5</sup> .

1 ابن منظور، لسان العرب ، مادة : ولج ، دار صادر ، بيروت ، د.ط ، د.ت ، 399/2 .  
2 الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1415 هـ ، 115/3 .  
3 ينظر : الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 ، ج3 ، ص214 .  
4 الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، المرجع السابق، 116/3 .  
5 ينظر : أحمد إبراهيم موسى ، الصبغ البديعي في اللغة العربية ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، د.ط ، 1969 ، ص471 .

ومن كان هذا شأنه فهو ليس بقادر ، وهي في مجملها أفعالٌ عظيمةٌ محيرةٌ للأفعال - كما يرى الزمخشري<sup>1</sup> ، وفي هذا دلالات منها : الإشارة على تقلب أحوال الزمان فقد يصير المغلوب غالباً ويصير ذلك الغالب مغلوباً والتنبيه على تمام القدرة ، وفي هذا إدماج تشبيه الكفر بالليل والإسلام بالنهار ...<sup>2</sup> .

ومن جهة أخرى فاللون الجلي في آيات العكس والتبديل هو التكرار ، والذي كان له وظيفة بارزة في الإيقاع والدلالة .

فقد تكرر في الآية - بانتظام - الفعلان (تولج ، تخرج) وحرفا الجر (من ، في) تفصلها الثنائيات المتقابلة الآتية : (الليل ، النهار) و (الحي ، الميت) ، والمتكررة بترتيب متغاير ، فما قدم أولاً آخر ثانياً ، والعكس والتبديل "تمط تكراري على تحويل الشكل التعبيري إلى بنية مغلقة بدايتها هو نهايتها"<sup>3</sup> ، ما جعل الألفاظ والأصوات متماثلة ، والتركيبين متقابلين ، والمعاني تنمو عن طريق المماثلة والتضاد<sup>4</sup> .

وقد جاءت المطابقة في الآية الكريمة مجردة ليس تحتها كبير أمل ، ونهاية ذلك أن يطابق الضد بال ضد ، - الليل ، النهار / الحي ، الميت - وهو شيء سهل اللهم إلا أن تترشح بنوع من أنواع البديع يشاركه في البهجة والرونق ففي العطف بقوله تعالى : ﴿ تَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ دلالة على أن من قدر على تلك لأفعال العظيمة قدر على أن يرزق بغير حساب من شاء من عباده وهذه مبالغة التكميل المشحونة بقدرة الرب سبحانه وتعالى فانظر إلى عظم كلام الخالق هنا فقد اجتمع فيه المطابقة الحقيقية والعكس الذي لا يدرك لوجازته وبلاغته ومبالغة التكميل التي لا تليق بغير قدرته<sup>5</sup> .

<sup>1</sup> ينظر : الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، المرجع السابق، 350/1.

<sup>2</sup> ينظر : الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، المرجع السابق ، ج 17 ، ص 315 .

<sup>3</sup> محمد عبد المطلب ، بناء الأسلوب في شعر الحداثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2 ، 1995 ، ص 381 .

<sup>4</sup> ينظر : محمد مفتاح ، مجهول البيان ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1990 ، ص 58 .

<sup>5</sup> ينظر : ابن حجة الحموي، خزنة الأدب وغاية الأرب، تح: عصام شقيو ، دار الهلال ، بيروت ، ط 1 ، 1987 ، 160/1-161.

والتجانس الجزئي بين الصوتين الأول والأخير (ت ، ج) ، والوزن الصرفي الواحد في الفعلين (تُولِجُ ، تُخْرِجُ) أحدث تناغما جزئيا في الآية ، جمع إلى جانب التخالف الدلالي، والتماثل والتنوع ، ولعل في هذا التماثل تكمن أهمية هذا النوع من المجانسة أكثر من غيرها، فتشابه في الألفاظ المتجانسة يُولد نغما ، وفي الوقت ذاته تفاجئ هذه الألفاظ ذهنَ المتلقي بما تحمله من معانٍ متقابلة ، ومن تداخل وثرء دلالي.

ومنه يظهر السر في التعبير بالفعل (تُولِج) بدلا من (تُدْخِل) ، وذلك لتناغمه مع (تُخْرِج) صوتيا ودلاليا ، إضافة إلى أنّ الولوج يحمل معنى الدخول والزيادة ، وهو ما يقع لليل والنهار ، فبدخول أحدهما في الآخر تزداد مدته على مدّة الآخر<sup>1</sup> ، وهو ما لا يتحقق بالفعل (تُدْخِل) .

ومن جهة أخرى ، فالذي يلج يُسمّى وليجة ، وهو كل شيء أولجته فيه وليس منه ، وهي من قولهم : فلان وليجة في القوم : إذا لحق بهم وليس منهم إنسانا كان أو غيره ، والوليجة: الدّخيلة، وهو وليجْتُهُمْ، أي: لصيقٌ بِهِمْ ، وهو ما نجده في العلاقة بين الليل والنهار ، فهما مختلفان ، ومتلاصقان في الوقت نفسه ، ويلج أحدهما في الآخر ، وهو ليس منه . ولعل هذا ما أشار إليه الشعراوي بقوله: "هو لفت للانتباه البشري إلى أن الليل والنهار لا يفصل بينهما حد قاطع بنسبة متساوية لكل منهما"<sup>2</sup>.

ومن جهة ثالثة ، فهو يفيد الانسيابية والسلاسة ، "لأن تقلص ظلمة الليل يحصل تدريجا، وكذلك تقلص ضوء النهار يحصل تدريجا، فأشبه ذلك إيلاج شيء في شيء إذ يبدو داخلا فيه شيئا فشيئا"<sup>3</sup> .

فالمقابلة والتكرار والجناس والطباق جعلت ببنياتها وأبعادها الصوتية وتداخلها الدلالي الآية متمسة بالانتظام والجمال والتناغم الإيقاعي والدلالي ، وعبرت عن المعاني وساهمت في التأكيد عليها ، والتنبية إليها ؛ "فالنتاج الدلالي لبنية العكس واسع ومتنوع ، والمهم كيفية توظيفه ، إذ إنّ

<sup>1</sup> ينظر : إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد السلامة ، دار طيبة ، الرياض ، السعودية ، ط2 ، 1999 ، ج2 ، ص29 .

<sup>2</sup> محمد متولي الشعراوي، الخواطر، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، د.ط، 1991، 1403/3.

<sup>3</sup> ابن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984، 315/17.

هذا التوظيف يختلف من مبدع لآخر مما يجعل هذه البنية من أخصب البنى التي كشف عنها التفكير البديعي قديماً<sup>1</sup>.

وهو أسلوب انتهزه القرآن الكريم في هذه الآية ، فظهرت معانيها بوصف دقيق وواضح. يقول سيد قطب عن الآية : "هذه الحركة الخفية المتداخلة. حركة إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل وإخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي ... فإن القلب يكاد يبصر يد الله وهي تحرك الأفلاك، وتلف هذه الكرة المعتمة أمام تلك الكرة المضيئة، وتقلب مواضع الظلمة ومواضع الضياء.. شيئاً فشيئاً يتسرب غبش الليل إلى وضاءة النهار. وشيئاً فشيئاً يتنفس الصباح في غيابة الظلام.. شيئاً فشيئاً يطول الليل وهو يأكل من النهار في مقدم الشتاء. وشيئاً فشيئاً يطول النهار وهو يسحب من الليل في مقدم الصيف.. وهذه أو تلك حركة لا يدعي الإنسان أنه هو الذي يمسك بخيوطها الخفية الدقيقة ولا يدعي كذلك عاقل أنها تمضي هكذا مصادفة بلا تدبير! ، كذلك الحياة والموت، يدب أحدهما في الآخر في ببطء وتدرج. كل لحظة تمر على الحي يدب فيه الموت إلى جانب الحياة، ويأكل منه الموت وتبنى فيه الحياة! خلايا حية منه تموت وتذهب، وخلايا جديدة فيه تتشأ وتعمل"<sup>2</sup>.

إن الدلالات البلاغية في القرآن الكريم كثيرة جداً، ولا يمكن فهم هذه الدلالات إلا بإتقان فنون البلاغة العربية، ومن ذلك فن البديع.

كما أن هذه الدلالات البديعية التي تكمن وراء المعاني الثانية للأسلوب القرآني هي التي تكشف مفهوم الخطاب القرآني. وتحليل الدلالات يفيد أولئك الذين تخصصوا في البلاغة القرآنية، وتفسير القرآن الكريم، ويفيد أيضاً في فهم المعنى الكامن، فقوله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾، أي إنك تدخل طائفة من الليل في النهار فيقصر الليل من حيث يطول النهار، وتدخل طائفة من النهار في الليل فيطول هذا من حيث يقصر ذلك.

والخلاصة- إنك بحكمتك في خلق الأرض مكورة، وجعل الشمس بنظام خاص تزيد في أحد المويين (الليل والنهار) ما يكون سبباً في نقص الآخر.

فليس بالمنكر بعد هذا أن تؤتى النبوة والملك من تشاء كمحمد وأمه من العرب وتنزعهما ممن تشاء كبنى إسرائيل، فما مثل تصرفك في شئون الناس إلا مثل تصرفك في الليل والنهار.

1 محمد عبد المطلب ، بناء الأسلوب في شعر الحداثة ، المرجع السابق ، ص 329 .

2 سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ، ط 17 ، 1412 هـ ، مج 1 ، ص 384 .

وقوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالعالم من الجاهل والمؤمن من الكافر (والحياة والموت معنويان) والنخلة من النواة والإنسان من النطفة، والطائر من البيضة (والحياة والموت حسيان).  
وقوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ كالجاهل من العالم، والكافر من المؤمن، والنواة من النخلة، والبيضة من الطائر.

فقوله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ بالتعاقب وهذا شيء اعتيادي، فالله يضرب لنا مثلا نشاهده يوميا. والتفسير الحقيقي هو (إخراج الحي من الميت) كما يحصل يوميا من أن الحي ينمو بأكل أشياء ميتة، فالصغير يكبر جسمه بتغذية اللبن أو غيره، والغذاء شيء ميت، ولا شك في أن القدرة على تحويل الشيء الميت الذي يأكله إلى عناصر ومواد من نوع جسمه بحيث ينمو جسمه، هو أهم علامة تفصل الجسم الحي من الجسم الميت، وقد كتب علماء الحيوان فقالوا: إن النعجة مثلا تتغذى بالنبات وتحوله إلى لحمها، وهذه أهم علامة على أنها حية، وكذا الطفل يتغذى باللبن الميت ويحوله إلى جسمه الحي<sup>1</sup>.

والعكس والتبديل هو عند السيوطي "أن يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر"<sup>2</sup>، وهو في جوهر الكنز: "أن يأتي الشاعر أو الناثر إلى معنى لنفسه أو لغيره فيعكسه"<sup>3</sup>، ومن أسماء العكس والتبديل أيضاً (المغايرة)، وهو ما يجعله مثالياً ومبرزاً ومعبراً بدقة عن معاني القرآن الكريم في آيات الكون والخلق وقدرة الخالق في إخراج أو استبدال الليل بالنهار والحي بالميت والعكس صحيح.

<sup>1</sup> ينظر: أحمد المراغي، تفسير المراغي، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1946، 133/3.

<sup>2</sup> السيوطي، عُقُودُ الْجُمَانِ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي وَالنِّيَّانِ، تح: إبراهيم محمد الحمداني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2011، ص257.

<sup>3</sup> ابن الأثير، جوهر الكنز، تح: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ط، د.ت، ص285.

ثالثاً - سورة الأنعام ، الآية 52 :

قال تعالى : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ ﴾ .

في الآية تنويه وإرشاد من الخالق سبحانه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، بعدم طرد المسلمين ولو كانوا فقراء كابن مسعود، صهيب، عمار بن ياسر، المقداد، بلال .. ، عند حضور الكفار الأغنياء أو الأعيان، فقد روي أن رؤساء قريش قالوا لرسول الله: لو طردت هؤلاء، جلسنا إليك وحادثناك. فقال: ما أنا بطارد المؤمنين. فقالوا: فأقمهم عنا إذا جئنا فإذا قمنا فأقعدهم معك إن شئت، فقال: نعم، طمعا في إيمانهم، فأنزل الله هذه الآية، التي فيها نهي قاطع منه تعالى لمثل هذا العمل، وعدم إطاعة الكفار في هواهم.

والحَسَبُ: الشرف الثابت في الآباء، وحسب فمعناه كما تقول: حسبك هذا، أي: كفاك، والحسابة مصدر قولك: حسبت حسابة، وأنا أحسبه حسابا، والحساب: عدك الأشياء<sup>1</sup>.

وأحسبته وحسبته، أي أعطيته ما يرضيه<sup>2</sup>.

والحِسَابُ والحِسَابَةُ: عدّ الشيء<sup>3</sup>.

فقوله تعالى: ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ ﴾ ، بضمها إلى ﴿ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ ﴾ ، فقد جاءت الجملتان في منزلة الجملة الواحدة، لأن قصدهما واحد وهو المعنى في قوله وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَلَا يَسْتَقِلُّ بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَّا الْجَمَلَتَانِ جَمِيعاً، كأنه قيل: لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه، وقيل: الضمير للمشركين. والمعنى: لا تأخذ يا رسول الله بحساب الكفار ولا يأخذون بحسابك، حتى يهملك إيمانهم ويحرك الحرص عليه إلى أن تطرد المؤمنين فَتَطْرُدَهُمْ هُوَ جَوَابٌ لِلنَّفْيِ وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى تَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ هُوَ جَوَابُ النَّهْيِ، ويجوز أن يكون عطفاً على فَتَطْرُدَهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّسْيِيبِ، لأن كونه ظالماً مسبب عن طردهم. وقرئ: بالغدوة والعشى<sup>4</sup>.

فالغرض من الآية هو رد اعتبار من الخالق سبحانه إلى المسلمين الفقراء والمستضعفين بِحَثِّ نَبِيِّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، على عدم طردهم بناء على طلب أعيان وأغنياء الكفار.

<sup>1</sup> ينظر: مرتضى الربيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، د. ط، د. ت، 267/2-268.

<sup>2</sup> ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987، 110/1.

<sup>3</sup> ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، 313/1.

<sup>4</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، 28/2.

والحكمة من العكس هنا الإشارة إلى أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة<sup>1</sup>.

ومن الواضح في العكس والتبديل لون التكرار، الذي كان في تكرار الكلمات (عليك) بتغيير طفيف.

فالعكس والتبديل يقوم على تكرار متناظر منظم على أساس المقايضة بين الطرفين وتساويهما، أي يقوم بين الطرفين ارتباط متبادل على أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الأول<sup>2</sup>.

"فالعكس والتبديل، يمكن أن يندرج في نطاق التكرار لما فيه من تكرار اللفظ نفسه"<sup>3</sup>.

ومن جهة أخرى وجدنا التقابل بين الطرف الأول في قوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾، والطرف الثاني ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ لأن تقديم ما كان مؤخراً، وتأخير ما كان مقدماً، ويجعله الطرفين متضادين، وحيث كثر التقابل كان الكلام بليغاً، والذوق سليماً والمعنى أوضح، لأن بين الطرفين مقارنة توضحها بدقة.

والقيمة الفنية للتقابل تكمن فيما يحدثه التضاد من أثر متميز في الدلالة على "صور ذهنية ونفسية متعاكسة يوازن فيما بينها عقل القارئ ووجدانه فيتبين ما حسن منها يفصله عن ضده"<sup>4</sup>.

ووجد الطباق في ثنايا التقابل بين (حسابهم) و(حسابك)، وبين (عليك) و(عليهم)، والعطف في قوله تعالى: ﴿فَتَطْرُدُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وهي دلالة على أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يملك التصرف في الكون، ولا يعلم الغيب، وأنه لا يملك حساب المؤمنين<sup>5</sup>.

وهذه مبالغة التكميل المشحونة بقدرة الله، فهنا اجتمعت المطابقة الحقيقية ومبالغة التكميل<sup>6</sup>. وقد جاء الجنس داخل العكس والتبديل في (حساب) فالأولى هي خاصة بضعفاء المسلمين الذين رفض الخالق سبحانه طردهم، والثانية هي خاصة بالنبي - صلى الله عليه وسلم -، "ولا

1 ينظر: جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1974، 317/3.

2 ينظر: ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط1، 1997، ص293.

3 ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، المرجع السابق، ص294.

4 أحمد مطلوب، البلاغة والتطبيق، بغداد، ط1، 1982، ص443.

5 ينظر: أحمد المراغي، تفسير المراغي، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط1، 1946، 136/7.

6 ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، د.ت، ص83.

يستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً<sup>1</sup>.

لقد لاحظنا أن ألوان البديع التي يحتويها العكس والتبديل مكملة لبعضها البعض، متراكبة متكاملة لا يمكن الفصل بينها كما لا يمكن الفصل بين اللفظ والمعنى، ذلك أن المحسنات تقوي المعنى وترتقي بالدلالات، وما يجعل هذه المعاني تصل إلى الأذهان هو صياغتها بفنية وبلاغة وجمالية أسلوبية.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988، ص09.

رابعاً - سورة فاطر، الآية : 02 .

قال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

الآية الكريمة فيها إظهار لقوته سبحانه وقدرته على تبسيط نزول الرحمة لعباده كافة أو لفئة ما، أو عكس ذلك بتجفيف منابع تلك الميزة بمنعها عن الناس أو الفئة المعنية بهذا، وجاءت هذه الآية بعبارات جميلة، فيها تأكيد على أن الرحمة لا يملك أمرها وأسبابها وإعطاءها للخلق إلا هو سبحانه وتعالى<sup>1</sup>.

ففي اللغة "أمسكت الشيء، وتمسكت به، واستمسكت به، كله بمعنى اعتصمت به. و جاء في تاج العروس "إمساكُ الشيء: التَّعَلُّقُ بِهِ وَحِفْظُهُ"<sup>2</sup> ، وهنا لدينا استعارة التمثيلية في ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ ، حيث أن فيها تشبيه إرسال النعم بفتح الخزائن للإعطاء وكذلك حبس النعم بالإمساك، واستعير الفتح للإطلاق والإرسال والإمساك للمنع<sup>3</sup>. فقولُه سبحانه ﴿ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ مكان: لا فاتح له، يعنى: أي شيء يطلق الله من رحمة أي من نعمة رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها. وتكثيره الرحمة للإشاعة والإبهام، كأنه قال: من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية، فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها، وأي شيء يمسك الله فلا أحد يقدر على إطلاقه<sup>4</sup>.

وأبرز ما يظهر في آية العكس والتبديل هذه التكرار، الذي شغل وظيفة بارزة في الإيقاع والدلالة .

<sup>1</sup> ينظر: أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، 142/7.

<sup>2</sup> مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط، د.ت، 333/27.

<sup>3</sup> ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني، القاهرة، ط1، 1997، 523/2 .

<sup>4</sup> ينظر: الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة، بيروت، تح: خليل مأمون شيحا، ط3، 2009، 880/22.

فقد تكرر في الآية - بانتظام - الفعل (يمسك) ، وتكرار اسم الشرط (ما) بصورة متقابلة متوازية، التعبير التكراري المنغلق في ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا - وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾، والعكس والتبديل هو تعبير تكراري يعتبر بنية مغلقة البداية هي النهاية والنهاية هي البداية<sup>1</sup>، ما ترك تماثلا في الألفاظ للألفاظ الأصوات، بتركيبين متقابلين، وهو ما ينمو به المعنى ويسمو به الأسلوب.

ومن جهة نجد المقابلة في التعبير التكراري في ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا - مَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ، حيث تقابل التعبيرين ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ ، و ﴿مَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾، والمقابلة هي "أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب"<sup>2</sup>.

ونجد أن الطباق الوارد في المقابلة قد ظهر في (يَفْتَحِ - يُمْسِكُ). وهو طباق يعكس جودة وحسن كلام المولى عز وجل، فأى شيء يمنحه لخلقه ويتفضل به عليهم من رحمة، ونعمة، وصحة، وأمن، وعلم وحكمة، ورزق... ، فلا يقدر أحدٌ على إمساكه وحرمان خلق الله منه، فهو الملك الوهاب الذي لا مانع لما أعطى، أيضاً وأى شيء يمسكه ويحبسه عن خلقه من خيراته وفضله في الدنيا والآخرة، فلا أحد يقدر على منحه للعباد بعد أن أمسكه وتعالى<sup>3</sup>.

وهذه الآية الكريمة مضمونها أن ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده. ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن ما يفتح للناس من رحمته وإنعامه عليهم بجميع أنواع النعم، لا يقدر أحد كائنا ما كان أن يمسكه عنهم، وما يمسكه عنهم من رحمته وإنعامه لا يقدر أحد كائنا من كان أن يرسله إليهم، وهذا معلوم بالضرورة من الدين، والرحمة المذكورة في الآية عامة في كل ما يرحم الله به خلقه من الإنعام الدنيوي والأخروي، كفتحهم لهم رحمة الإسلام والمطر والرياح والأمن والصحة والغذاء والأولاد والسكن... .

1 ينظر: محمد عبد المطلب ، بناء الأسلوب في شعر الحداثة ، المرجع السابق، ص381 .  
2 عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1999، ص34.  
3 ينظر: محمد علي الصابوني، صفة التفسير، دار الصابوني، القاهرة، ط1، 1997، 519/2.

لقد تبين لنا في هذه الآية الدور الهام للعكس والتبديل بألوانه البديعة في بناء النص القرآني وإنتاج دلالاته والتعبير عن معانيه بدقة، وإبراز جماله ورونقه. وإن التعامل مع أطراف البديع يعتبر "فطريا دون وعي بأبعاده الوظيفية"<sup>1</sup>، وإن استخدامه في القرآن الكريم كان لمهمة محددة تظهر مدى بعد المفردات القرآنية.

<sup>1</sup> محمد عبد المطلب، البلاغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1997، ص345.

خامسا - سورة الزمر، الآية : 05.

قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُوِّرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكُوِّرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ .

والآية بها دلائل وبراهين لقدرة الإله الواحد الأحد، المنزه عن النظير والمثيل، القاهر لعباده بعظمته وجلاله<sup>1</sup>.

في هذه الآية نبهنا الخالق إلى كروية الأرض أولاً، وإلى دورانها حول نفسها ثانياً، فتكوير الأرض ظاهر الآية، ودورانها أتى تابعا بالرمز والإشارة، وأنه سبحانه سخر لنا الشمس والقمر وهما وسيلتا الليل والنهار منقادين له وأكثر مصالح العالم مرتبطة بهما يجريان لمنتهى دورتهما، ومنقطع حركتهما، وهو يوم القيامة. ثم ذيل الكلام بقوله: ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ ترغيباً في طلب المغفرة بالعبادة والإخلاص له، والتحذير من الكفر والمعاصي<sup>2</sup>.

وكل دور (كور) . و (الكور) بالضمّ الرحل بأداته والجمع (أكوار) و (كيران) ، و (الكور) أيضاً كور الحداد المبني من الطين، و (كوار) النحل عسلها في الشمع. قلت: قال الأزهري: (الكوار) و (الكوار) شيء كالقرطالة يتخذ من قضبان ضيق الرأس للنحل، و (الكورة) بوزن الصورة المدينة والصقع والجمع (كور) . و (الكارة) ما يحمل على الظهر من الثياب، و (تكوير) المتاع جمعه وشده. وتكوير العمامة كورها. وتكوير الليل على النهار تغشيته إياه، وقيل: زيادته في هذا من ذلك<sup>3</sup>.

وتكوير الليل والنهار إدخال كل واحد منهما في صاحبه، وأصله من تكوير العمامة، وهو لفها وجمعها<sup>4</sup>.

وإن الليل والنهار خلفه يذهب هذا ويغشى مكانه هذا فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللباس، وأن كل منهما يغيب الآخر إذا طراً عليه فشبهه في تغيبه إياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن الأنظار، إن هذا يكر على هذا كرورا منتابعا فشبه ذلك بنتابع أكوار العمامة بعضها على إثر بعض<sup>5</sup>.

1 ينظر: محمد علي الصابوني، صفة التفسير، دار الصابوني، القاهرة، ط1، 1997، 64/3.

2 ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1946، 145/23.

3 ينظر: زين الدين الحنفي الرازي، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1999، ص274.

4 ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ، 156/5.

5 ينظر: محيي الدين مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص - سورية، ط4، 1415 هـ ، 390/8.

وغرض هذه الآية التأمل في ملكوت السماوات والأرض، وإلى ظاهرة الليل والنهار، وإلى تسخير الشمس والقمر توحى إلى الفطرة بحقيقة الألوهية التي لا يليق معها أن يكون هناك ولد ولا شريك، فالذي يخلق هذا الخلق وينشئه إنشاء، لا يحتاج إلى الولد ولا يكون معه شريك<sup>1</sup>. وهي معانٍ لا يعبر عنها إلا بالعكس والتبديل بما يحمله من قدرة تعبيرية ومن تنوع فنونه البديعية: التقابل، في قوله تعالى: ﴿يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ﴾ ، و ﴿وَيُكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾ ، لأن جمال التقابل بجمع بين أربعة أضداد: ضدان في الطرف الأول وضدان في الطرف الثاني للكلام<sup>2</sup>.

ونجد داخل هذا التقابل فن بديع آخر وهو المطابقة، فقد ترشحت فيها بالعكس الذي لا يدرك، لوجازته ومبالغة التكميل الذي لا تليق بغير القدرة الإلهية، فإن في العطف بقوله: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ...﴾ ، دلالة على أن من قدر على أفعال مثل هذه ، قادر على أن يرزق من يشاء من عباده بغير حساب، وهذا من مبالغة التكميل بشحنة قدرات ربانية<sup>3</sup>. وعثرنا على التكرار وهو اللون الجلي في آيات العكس والتبديل، والذي كان له وظيفة بارزة في الإيقاع والدلالة .

فقد تكرر في الآية - بانتظام - الفعل (يُكْوَرُ) ، وبتناوب تكرر (اللَّيْلُ ، النَّهَارُ) ، فقد تكررا بترتيب متغاير ، فما قدم أولاً آخر ثانياً. والعكس والتبديل هو أن تقدم في الكلام جزءاً، ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت وهو على وجوه ومنه "ما يقع بين متعلقي فعلين في جملتين"<sup>4</sup>.

وكان الجنس متجسداً في الفعل (يُكْوَرُ)، فهو في كل مرة بمعنى خاص به فمرة هو لتعاقب الليل على النهار ، ومرة هو لتعاقب النهار على الليل، والجناس هو "عملية فنية ممتعة، تزين الكلام، تجعل الذهن ينتقل بين المعاني المختلفة، وهو مستمتع بجرس موسيقي ينساب من الألفاظ المتشابهة المتجانسة"<sup>5</sup>.

1 سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط17، 1412 هـ، 3038/5.

2 ينظر: عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1999، ص36.

3 ينظر: علي بن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع، تح: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف، العراق، ط1، 1968، 49/2.

4 أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1993، ص326.

5 أحمد أبو حاق، البلاغة والتحليل الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1988، ص197.

فالتقابل والطباق والتكرار والجناس بينياتها وأبعادها الصوتية وتداخلها الدلالي جعلت الآية متمسة بالتناغم الإيقاعي والدلالي والانتظام والجمال ، وعبرت عن المعاني وساهمت في التنبيه إليها والتأكيد عليها، فالنتاج الدلالي لبنية العكس واسع ومتنوع ، والمهم كيفية توظيفه ، إذ إن هذا التوظيف يختلف من مبدع لآخر مما يجعل هذه البنية من أخصب البنى التي كشف عنها التفكير البديعي قديماً<sup>1</sup> .

وهو ما استغله القرآن الكريم في هذه الآية ، فبين به معانيه بأوضح وأدق وصف، وما زاد جمال هذه الآية "أن حدوث الليل والنهار في الأرض منوطاً بتحريك السموات أي يغشى كل واحد منهما الآخر كأنه يلفه عليه لفة اللباس على اللابس أو يُغيبه به كما يُغيبُ الملفوفُ بالقميص أو يجعله كالأرض عليه كروراً متتابعاً تتابع أكوام العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد"<sup>2</sup>.

لقد كان لألوان البديع التي ذكرت أثر مميز وكبير في توضيح المعنى وإبرازه ، فهي تمثل أنسب تعبير في هذا المقام ، لرسمها ووصفها الدقيق ، فالنهار والليل موجودان دائماً في الوقت نفسه ، وجود الأول لا يعني غياب الآخر ؛ لأن الكرة الأرضية منقسمة إلى قسمين ؛ فظهور الليل في طرف من الأرض يعني ظهور النهار في طرفها الآخر<sup>3</sup> .

فهذا التقابل مبني - تقريباً - على نمط واحد مع مغايرة أسلوبية عن طريق التقديم وذلك لإظهار المفارقة والاختلاف بين الطرفين من جهة ، وهو ما يثير القارئ ويجعله منتبهاً من جهة أخرى . ويزيد في جمالية الآية من جهة ثالثة وخاصة "أن عناصر بنية العكس قد تتوافق تمام الموافقة ... فإنها تقدم لنا شكلاً تعبيرياً فريداً يأتي فيه التقابل من التوافق ، فهو علامة على تداخل الدلالات في وعي المبدع أولاً ، ثم تداخلها على مستوى الصياغة ثانياً"<sup>4</sup>.

ولعله يتضح لنا أن العكس والتبديل هنا يكثر في أمثال هذه المعاني والإشارات الكونية الدالة على قدرة الخالق - عز وجل - على الإبداع ، وعلى الجمع بين المتقابلين المترابطين المتكاملين في هذا الكون ، لتصويرهما والتعبير عنهما بدقة.

1 محمد عبد المطلب ، بناء الأسلوب في شعر الحداثة ، المرجع السابق ، ص 329 .

2 أبو السعود العمادي، تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، 242/7.

3 ينظر : سعد الدين السيد صالح ، المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، 1993 ، ص 212 .

4 محمد عبد المطلب ، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، ص 322 .

سادسا - سورة الكافرون :

قال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ  
مَا عَبَّدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)﴾

جاءت هذه سورة الكافرون كرد من الخالق سبحانه على رهط من قريش قالوا : يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك، وعند ظهور صلاح أحدهما عن الآخر اتبعناه ، فقال: (( مَعَادَ اللَّهِ أَنْ أُشْرِكَ بِهِ غَيْرُهُ )) ، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ...﴾ إلى آخر السورة، فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة ، فتمكن اليأس منهم وانصرفوا<sup>1</sup> .

وخلال بحثنا عن تصريف كلمة (عَبَدَ) في المعجم وجدنا الجوهري يصرفها بقوله : "العَبَدَ : خلاف الحُرِّ، والجمع عبيد ... والتعبيدُ: التذليلُ يقال : طريقٌ مُعَبَّدٌ. والبعير المُعَبَّدُ : المهنوءُ بالفطران المُذَلَّلُ، والمُعَبَّدَةُ : السفينةُ المُقَيَّرَةُ... والتعبيدُ : الاستعبادُ، وهو أن يتَّخذه عَبْدًا"<sup>2</sup>.

لقد تجسد العكس والتبديل في الآية كما قال ابن منقذ: "أن تأتي الجملتان إحداها عكس الآخر"<sup>3</sup> ، لأن الآية الثانية معاكسة للثالثة، والآية الرابعة معاكسة للخامسة لفظاً ومعنى مع تبديل مواضع الكلمات وهو من جمال التعبير القرآني المُعْجِز، فالمعنيان متعاكسان في الغالب كما أن الألفاظ متبادلة المواقع، ومتجانسان معنوياً، بالإضافة إلى وجود لون التقطيع والتوازن، فالعكس والتبديل محسن لفظي لتبديل مواضع الألفاظ، ومحسن معنوي لتعاكس المعنيين بين التركيبين، ومن الملاحظ احتواء هذه الآيات على التقابل والطباق والجناس والتكرار، وهو ما يؤكد تداخلها واحتوائها في العكس والتبديل<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: أبو الحسن النيسابوري، أسباب نزول القرآن، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، 2، 1992، ص467 .

<sup>2</sup> الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987، 502/2-503.

<sup>3</sup> أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، تح: أحمد أحمد بدوي، مرا: إبراهيم مصطفى، دار البابي الحلبي، القاهرة، 1960، د.ط، ص46.

<sup>4</sup> ينظر: إبراهيم محمود علان، البديع في القرآن، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات، ط1، 2002، ص156-157.

وفي هذه السورة الكريمة نجد في الآية الثانية أمر منه سبحانه إلى رسوله ﷺ، للرد على عمائم الشرك بعدم الخضوع لهم أي لا أعبد هذه الأصنام والأوثان التي تعبدونها، فأنا بريء من آلهتكم ومما عبدتم لأنها لا تضر ولا تنفع ولا تغني عن عابدها شيئاً وهذا متجسد في قوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(2)﴾. وفي الآية الثالثة هي إقرار من النبي ﷺ بعدم إتباع الجهلة له في سبيله الصحيح المنير، أي: ولا أنتم يا معشر المشركين عابدون إلهي الحق الذي أعبدوه وهو الله وحده، فأنا أعبد الإله الحق هو الله رب العالمين، وأنتم تعبدون الأحجار والأوثان، وشتان بين عبادة الرحمن، وعبادة الهوى والأوثان وهو بارز في قوله جل جلاله: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(3)﴾<sup>1</sup>.

وعثرنا على التقابل بين الآيتين: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(2)﴾ والآية: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(3)﴾، وهو من جهة نفي الرسول ﷺ عبادته للحجر في الجملة الأولى، ومن جهة أخرى فالخالق سبحانه وتعالى نفى عن المشركين عبادته في الجملة الثانية، وكان هناك تقابل آخر بين الآيتين: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ(4)﴾، وبين الآية: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(5)﴾، هذان التقابلان فيهما نهى قاطع في الجملة الأولى وتأكيد لما سبق من البراءة من عبادة الأحجار، وقطع الطريق أمام أطماع الكفار، فهو كأن يقول لهم: لا أعبد هذه الأحجار في الحال ولا في الاستقبال، وفي الجملة الثانية إقرار بعدم عبادة المشركين للإله الواحد الأحد مستقبلاً<sup>2</sup>، وقد برزت براعة القرآن وبلاغته في هذين التقابليين بجمع المتضادات الكاشفة لطبيعة الإيمان والكفر، التوحيد والشرك، النور والظلمة، البياض والسواد، النقاء والظلماء، وهذه التقابلات ما هي إلا الطباق المتغلغل داخل التقابل بشكل جذاب، فقد وجد الطباق في الآية الثانية بين (لا أعبد) وهو نفي تام لعبادة الأصنام في الماضي كما ذكر المفسرون وبين (ما تعبدون) وهو إثبات لتورط المشركين في عبادة الحجر الوثن وإتباع طريق الشيطان، وطباق آخر في الآية الثالثة بين (لا أنتم عابدون) وهو تبرئة للمشركين ونفي عنهم عبادة الخالق سبحانه وتعالى، (ما

<sup>1</sup> ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني، القاهرة، ط1، 1997، ج3، ص587.

<sup>2</sup> ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، المرجع السابق، ص588.

أَعْبُدُ) وهو إقرار من الرسول ﷺ بعبادته لربه الواحد الأحد، هذا بالنسبة للآية الثانية والثالثة، والآيتين الرابعة والخامسة وجد بهما الطباق؛ ففي الآية الرابعة كَمُنَ بين (لَا أَنَا عَابِدٌ) وبين (مَا عَبَدْتُمْ)، وبين (لَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ) و(مَا أَعْبُدُ)، ومن تتبع طباق القرآن وجده مرشحاً بنوع آخر من البديع، فنلاحظ وجود شيء في الطباق قد نطلق عليه "إيقاع التوافق بين ما هو في غاية التخالف"<sup>1</sup>.

وصَدَرَ الجناس في السورة الكريمة بتجانس معنوي بين قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1)﴾ مع قوله : ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3)﴾ ، فتقدير هذا هو : (يا أيها المكذبون أنتم المكذبون) ، وهو دليل على تحقير وتصغير المولى عز وجل للمشركين . ومما ينبغي التنبيه إليه أن أنواع الجناس لا تستحسن حتى يساعد اللفظ المعنى ، ولا نستلذها إلا بإصدار وإيراد بهما عذوبة ومرونة متناهية<sup>2</sup>.

وبالنسبة للتكرار في هذه السورة فالأول بين ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2)﴾ و ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4)﴾ ، بمعنى أنّ النبي لا يعبد ما يعبد الكافرون الضالون، والثاني ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3)﴾ و ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5)﴾ ، وهي كما ذكرنا أنفا تنفي عبادة المشركين لما يعبد النبي، فمن العلماء من رأى أنّ في السورة تكراراً غايته التأكيد، ولكن جمهور العلماء ذهبوا إلى عدم وجود التكرار في السورة والخلاصة من هذا أن المجموعتين جاءت على صورة دعوة<sup>3</sup>.

وقد تبين لنا أن عمل البديع بألوانه عموماً والعكس التبديل خصوصاً كمبرزٍ لجلال المعاني وجمال الألفاظ ، خاصة في القرآن الكريم الذي وظّفه أحسن توظيف، فظهرت الآيات من خلاله ذات رونق، وجمعت بين الوفاء بالمعنى وتحقيق الجمالية وأثبتت إعجازها.

<sup>1</sup> عبد القادر حسين ، فن البديع ، دار الشروق ، بيروت ، ط1 ، 1983 ، ص49 .

<sup>2</sup> ينظر : عبد القادر حسين ، فن البديع ، دار الشروق ، بيروت ، ط1 ، 1983 ، ص122 .

<sup>3</sup> ينظر: فضل عباس وسناء عباس، إعجاز القرآن، المكتبة الوطنية، عمان، الأردن، د.ط، ص237.

الحنامة

تناولنا في هذا البحث العكس والتبديل من خلال تحليل نماذج قرآنية مختارة، وهو فن بديعي تندرج تحته فنون بديعية أخرى مثل: التكرار والتقابل والجناس، لذلك قدّمنا لمحة عامة عن هذه المحسنات؛ مفهوماً وبلاغةً وجمالية... مسبقةً بالبديع.

وقد خلص إلى النتائج التالية:

- البديع عامة عنصر مهم من عناصر التعبير، ومكون أساسي في بناء النص الأدبي، وليس ملحقاً بلاغياً كما يراه أغلب العلماء.
- العكس والتبديل لون بديعي عرّفه العلماء - عموماً - بقولهم: هو "ردّ آخر الكلام على أوله، فيصير آخره أوله"، فتضمّن ألوناً بديعية أخرى، وهو ما جعل العلماء يختلفون حوله؛ فأطلق عليه بعضهم المقابلة العكسية، وبعضهم الطباق، وعدّه بعضهم من أضرب الجناس، كما أطلق عليه جناس عكس الجمل، إلى غير ذلك من التسميات.
- اختلاف العلماء في العكس والتبديل، واختلافهم في حقيقته يعكس دوره، حيث أنه يتضمن التكرار والتقابل والجناس والتقديم والتأخير...، كل يوحى بأهميته في التعبير، وثرائه الإيقاعي والدلالي.
- اعتماد القرآن الكريم على العكس والتبديل في التعبير عن بعض المعاني، ذلك لأنه لا يستطيع التعبير عنها غيره، لقدرته - كما سبق - عن التعبير، وأهميته في التأثير.
- العكس والتبديل نمط تكراري يحول الشكل التعبيري إلى بنية مغلقة بدايتها هي نهايتها، أصواتها وألفاظها متماثلة، والتركيبان متقابلان.
- للعكس والتبديل دور كبير في توضيح المعاني وإبرازها، ورسم الصورة بدقة مثل آيات تكوير الليل على النهار والعكس، وإيلاج الليل في النهار والعكس وغيرها من الآيات.

○ تداخل الفنون البديعية بعضها في بعض؛ قد نجد أكثر من محسنٍ بديعي في الجملة الواحدة، وقد نجد محسنًا بديعيًا يتضمن محسنات أخرى تحته، وهو ما وجدناه في العكس والتبديل.

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم: برواية حفص.

أولاً: الكتب العربية:

01 إبراهيم محمود علان، البديع في القرآن، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2002.

02 ابن أبي الإصبع (عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري- ت654هـ - )، بديع القرآن، تحقيق: حنفي محمد شرف، دار نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1957.

03 ابن أبي الإصبع (عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري- ت654هـ - )، تحرير التحرير، تحقيق: حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، د.ط، د.ت.

04 ابن أبي الأصبع المصري (عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري- ت654هـ - )، تحرير التحرير، تحقيق: حنفي محمد شرف مطابع شركة الإعلانات الشرقية القاهرة، د.ط، د.ت.

05 ابن الأثير ( نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي - ت737هـ - )، جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة، تح: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الاسكندرية، د.ط، 2009.

06 ابن الأثير (ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد - ت637هـ - )، المثل السائر، تح: محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، د.ط، 1939.

- 07 ابن حجة الحموي (تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزرازي - ت837هـ - )، خزانة الأدب وغاية الأرب ، تحقيق : عصام شقيو ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط1 ، 1987.
- 08 ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي - ت463هـ - ) ، العمدة في محاسن الشعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الجيل ،بيروت ،ط4، 1972.
- 09 ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981.
- 10 ابن سنان الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي - ت466هـ - ) ،سر الفصاحة ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1982.
- 11 ابن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي - ت1393هـ - ) ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 ، ج14.
- 12 ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين - ت395هـ - ) ، الصاحب في فقه اللغة العربية ، تحقيق : أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1997 .
- 13 ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي - ت774هـ - ) ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد السلامة ، دار طيبة، الرياض ، السعودية ، ط2 ، 1999.

- 14 ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي - ت711هـ - ) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط3 ، 1993.
- 15 أبو الحسن النيسابوري (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي - ت468هـ - ) ، أسباب نزول القرآن ، تحقيق : عصام بن عبد المحسن الحميدان ، دار الإصلاح ، الدمام ، ط2 ، 1992.
- 16 أبو الحسن النيسابوري (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي - ت468هـ - ) ، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح ، الدمام ، ط2 ، 1992.
- 17 أبي الحسن القرطاجني (حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني، أبو الحسن - ت684هـ) ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط4، 2007.
- 18 أحمد إبراهيم موسى ، الصبغ البديعي في اللغة العربية ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، د.ط ، 1969.
- 19 أحمد أبو حاقّة ، البلاغة والتحليل الأدبي ، دار العلم للملايين ، ط1، بيروت ، مارس 1988.
- 20 أحمد بن مصطفى المراغي (ت1371هـ) ، تفسير المراغي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط1 ، 1946.

- 21 أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1993.
- 22 أحمد جمال العمري ، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ط ، 1990.
- 23 أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، تح: أحمد أحمد بدوي، مرا: إبراهيم مصطفى، دار مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، د.ط، 1960.
- 24 أشرف عبد البديع عبد الكريم ، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم ، مكتبة الآداب، القاهرة ، د.ط، 2008.
- 25 الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي - ت393هـ - ) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط4، 1987.
- 26 الخطيب القزويني (محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق - ت739هـ - )، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط1 ، 2003
- 27 الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتب الأزهرية للتراث، القاهرة، ط3، 1993.
- 28 الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الرحمان البرقوقوي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.

- 29 الخليل بن أحمد الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري - ت170هـ - ) ، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار الهلال بيروت، د.ط، د.ت.
- 30 الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله - ت538هـ - ) ، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط3 ، 1407 هـ .
- 31 السجلماسي (أبي محمد القاسم الأنصاري السجلماسي) ، المنزعة البديع في تجنيس أساليب البديع ،تح: علاء الغازي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1980.
- 32 السكاكي (يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب - ت626هـ - ) ، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987.
- 33 السيوطي (أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد المصري جلال الدين السيوطي الشافعي - ت911هـ - ) ،جني الجناس ،تحقيق: محمد علي رزق خفاجي ،الدار الفنية ،القاهرة ، ط1 ، 1986.
- 34 الشريف الجرجاني (علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني - ت816هـ - ) ، التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة، د.ط، 2004.
- 35 القاسم بن علي الحريري (أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري - ت516هـ - ) ،مقامات الحريري ،تحقيق : يوسف بقاعي ،دار الكتب اللبناني ،بيروت ، ط1 ، 1981.

- 36 الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط1، 1990.
- 37 بدر الدين بن مالك ،المصباح في المعاني والبيان والبديع ، تح: حسني عبد الجليل يوسف ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1، 1989.
- 38 بسيوني عبد الفتاح فيود ، علم البديع ، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع ، دار المعالم الثقافي ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط2 ، 1998.
- 39 بطرس البستاني ،محيط المحيط ،مطابع سيبو - برس ، بيروت ،د.ط، 1987.
- 40 سعد الدين السيد صالح ، المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، 1993 .
- 41 سعد عبد العزيز مصلوح ، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، مجلس النشر العلمي ، لجنة التأليف والتعريب والنشر، جامعة الكويت ، الكويت ، ط1 ، 2003.
- 42 سيد قطب (سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي - ت1385هـ) ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، بيروت ، ط32 ، 2003 ، مج5 .
- 43 شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1 ، 1415 هـ .
- 44 صلاح الدين خليل عز الدين الصفدي،جنان الجناس في علم البديع ،تحقيق : سهير حسن حليبي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1، 1987 .
- 45 عبد العزيز عتيق ، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، د.ت.

- 46 عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1992.
- 47 عبد الفتاح لاشين ، البديع في ضوء أساليب القرآن ، دار المعارف ، مصر ، ط5 ، 1997.
- 48 عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ط ، 1999.
- 49 عبد القادر حسين ، فن البديع ، دار الشروق ، بيروت ، ط1 ، 1983.
- 50 عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تحقيق : أبو فهر محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط1 ، 1991.
- 51 عبد الكريم بن جمعان ، إشكالات النص دراسة لسانية نصية، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 2009.
- 52 عصام شرتح ، ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط1 ، 2005.
- 53 علي صدر الدين بن معصم المدني (صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم - ت1119هـ) ، أنوار الربيع في أنواع البديع، مطبعة النعمان، النجف، العراق، ط1، 1968.
- 54 عمر أبو خرمة، نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، أريد، عمان، ط1، 2004.

- 55 فخر الدين الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، دار الفكر ، بيروت ، ط 1 ، 1981 .
- 56 فضل عباس وسناء عباس، إعجاز القرآن، المكتبة الوطنية، عمان، الأردن، د.ط.
- 57 كمال الدين بن ميثم البحراني ،أصول البلاغة ،تحقيق : عبد القادر حسين ،دار الشروق ،القاهرة ،د.ط ،1981.
- 58 ماهر مهدي هلال ، جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1980.
- 59 مجدي وهبه وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ، بيروت، ط2، 1984.
- 60 محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر، تونس ، 1984.
- 61 محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ط 1 ، 2000 .
- 62 محمد بن علي محمد الجرجاني ،الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ،المرجع السابق.
- 63 محمد عبد المطلب ، بناء الأسلوب في شعر الحداثة ، دار المعارف ، القاهرة، ط 2 ، 1995 .
- 64 محمد عبد المطلب ، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2 ، 1995.
- 65 محمد عبد المطلب، جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، الشركة المصرية العالمية، القاهرة، ط1، 1995.

- 66 محمد علي أبو زيد ، بلاغة الطباق والمقابلة ، دار الأرقم ، بيروت ، ط1، 1991.
- 67 محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، دار الصابوني ، القاهرة ، ط1، 1997.
- 68 محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم، بيروت، د.ط، 1401 هـ .
- 69 محمد محمد أبو موسى ، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، دار التضامن ، القاهرة ، 1988.
- 70 محمد مفتاح ، مجهول البيان ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط1، 1990 .
- 71 محمود البستاني، البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي، دار الفقيه، أبوظبي، الإمارات العربية، ط1، 2003.
- 72 مرعي الحنبلي، القول البديع في علم البديع، تح: محمد بن علي الصامل، كنوز إشبيلية، الرياض، ط 1، 2004.
- 73 مسعود بودوخة ،عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن ، ط1، 2011.
- 74 مصطفى عبده، المدخل إلى فلسفة الجمال، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ط2، 1999.
- 75 منير سلطان ، البديع تأصيل وتجديد ، منشأ المعارف ، الإسكندرية ، د.ط، 1986 .
- 76 ناصر بن علي عايض ، مباحث العقيدة في سورة الزمر ، مكتبة الرشد، الرياض ، السعودية ، ط1 ، 1995.

ثانياً: الكتب المترجمة:

- 01 جيروم ستولنيتز، النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية، تر: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 1981.
- 02 ديفيد ديتش، منهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، تر: محمد يوسف نجم، مر: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، 1967.
- 03 ستانلي هايمن ، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ، تر: إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، ط1، 1960.

# فهرس المحتويات

أ	المقدمة.
<b>الفصل الأول : تحديد المفاهيم</b>	
06	أولا - البديع:
06	أ - تعريف البديع.
07	ب - أنواع البديع.
08	ج - البديع بين الإيقاع والدلالة.
14	ثانيا - العكس و التبديل:
14	أ - تعريف العكس والتبديل.
16	ب - أنواع العكس.
18	ثالثا - التقابل:
18	أ - تعريف المقابلة.
19	ب - تعريف الطباق.
20	ج - بلاغة التقابل.
22	رابعا - التكرار:
22	أ - تعريف التكرار.
23	ب - أقسام التكرار.
23	ج - بلاغة التكرار وجماليته.
28	خامسا - الجناس:

28	I - تعريف الجناس.
29	II - أقسام الجناس.
33	III - بلاغة الجناس وجمالته.
<b>الفصل الثاني: الخصائص الأسلوبية في آيات العكس والتبديل</b>	
37	أولاً - سورة البقرة ، الآية 187.
40	ثانياً - سورة آل عمران ، الآية 27.
45	ثالثاً - سورة الأنعام ، الآية 52.
48	رابعاً - سورة فاطر، الآية 02.
51	خامساً - سورة الزمر، الآية 05.
54	سادساً - سورة الكافرون.
58	الخاتمة.
61	قائمة المصادر والمراجع.
72	فهرس المحتويات.